المسيحيون السوريون

خلال ألفي عام



سمير عبده

المسيحيون السوريون

خلال ألفي عام



منشورات دار علاء الدين

❖ سمير عبده

❖ المسيحيون السوريون خلال الفي عام

❖ الطبعة الأولى: كانون الثاني ٢٠٠٠

❖ تنضيد وتنفيذ وتوزيع

دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة

دمشق

❖ هاتف ٥٦١٧٠٧١ - فاكس ٥٦١٣٢٤١

ص. ب ٣٠٥٩٨

❖ الاخراج الفني: هيفاء الرفاعي

❖ صورة الغلاف: مسيحيون سوريون في الولايات المتحدة

الامريكية عام ١٩١٦

مقدمة

من حق أي مواطن سوري● أن يحتفل بذكرى مرور ألفي عام على ميلاد المسيح الذي ولد في هذه البلاد وتكلم بلغتها الآرامية السريانية، كما بها الكثير من رسل المسيح .... من هذه البلاد انبثقت المسيحية وعلى أرض ترابها استقبلت أول شهيد لها وفيها قامت ثقافة مسيحية لا زالت آثارها متجلية في الكثير من حياتنا، ذات تاريخ وطبيعة تفاعلية تحولية دائماً وأبداً .... هي التجربة القائمة على الفعل / الفكر وعلى التفاعل الذي هو جوهر روح المعاشرة الاجتماعية وجذر نشأة الثقافة. فالثقافة منتج اجتماعي لتكييف فرص ومناخ الفعل والتفاعل الاجتماعيين، فتكون الثقافة إطارهما وليست علتهما .... ومن ثم فإن دراسة ثقافة مجتمع ما باعتبارها نتاجا مجتمعياً تاريخياً، تعني بالضرورة دراسة الفعل الاجتماعي وعلاقات التفاعل داخل المجتمع، ومع مجتمعات خارجية، سواء في صورة تبادلية حرة أو في صورة ما نسميه غزوات أو فتوحات أو غير ذلك من أسماء، وتعني أيضا استبيان الآثار المتولدة والعلاقات التبادلية الجديدة الناجمة، وتحوراتها، وما أفضت إليه الظروف والملابسات الجديدة من ابتكارات الفعل والفكر الاجتماعيين.

وحين تنتقل الشعوب من الثقافة إلى الحضارة، من أساليب العيش التلقائية

● المقصود بتعبير سوري هو من سكن سوريا الطبيعية التاريخية.

الساذجة إلى أسلوب الحياة المضبوط المتشابه الذي يجري عليه كل الناس، تجمد ويبدأ تدهورها، فالشعوب الأوربية انتهت غالبيتها من طور الثقافة ودخلت في طور الحضارة حيث تلاشت طوابعها الشخصية الشعبية وأصبحت على نسق واحد. فيما المسيحية السورية تشكلت بطبيعة البيئة وبطبيعة التراث وبالمورثات الخاصة بنا والتي انتقلت الينا مع تعاقب الأجيال، مضافاً إليها العوامل المكتسبة البيئية، وهذان الاثنان شكلا في النهاية النسيج الثقافي للإنسان السوري. وهذا المصطلح كلما تأصل بمفهومه الجيد والسليم للثقافة في وجداننا ، ارتقينا وصار الأمل في مزج الحضارة بالتحضر قريباً، وهنا يمكن أن تصبح الثقافة فعلاً صمام أمن لكل أزماتنا النفسية.

من هنا خصوصية المسيحية السورية التي كثيراً ما ذكرت في سياق التهجير (الحضاري) للمسيحيين من هذه المنطقة، حيث يتم تفريغها منهم باسم سهولة الهجرة والوظائف الرفيعة التي ابتدعها الغرب لإفراغ المنطقة ممن تأصل بمسيحيته في مقابل أفراد طائفة أخرى يحلون محلهم لإنشاء وطن قومي لهم.

هذه الظروف غير الطبيعية التي يمر بها مسيحيو سوريا جعلت منهم قضية وحكاية، هي غير مرئية ولا يشعر بها إلا من خلال البيانات الإحصائية وشعور الأفراد أن دورهم التاريخي الذي قرأوا بعضاً منه يفقد بريقه، إلى جانب مشاكل اجتماعية فرضها عليهم تحضرهم فباتت لهم مشكلاتهم الخاصة.

إلى هذا و ذاك كتبت هذا الكتاب، فبعد المقدمة هناك تمهيد للدخول إلى الموضوع حيث كانت سوريا موطناً للكثير من الديانات والثقافات المختلفة، ومن هذه الثقافات كانت المسيحية إحداها، التي طمح أفرادها أن يكونوا قدوة في تمسكهم بدينهم الذي رعوه ونشروه في أرجاء العالم.

ثم كان فصل المسيحية: النشوء والارتقاء وفيه شرح مكثف لنشأة هذه الديانة السامية من حيث مفهوم الدين لدى الإنسان ومعاني الديانة المسيحية وولادة المسيح وانتشار المسيحية وكيف وصلت إلى ما وصلت إليه خلال ألفي عام.

وفي فصل لغة المسيح السريانية السورية نكشف النقاب عن لغة المسيح التي تكلم بها بلغة هذه البلاد والتي لا زالت باقية بعد أن انحسرت، وهي تمارس من خلال بعض الكنائس المسيحية ويتكلمها أفراد قرى سورية قليلة.

أما فصل المسيحية وتعدد الطوائف فيتناول نشأة الطوائف المسيحية في سوريا منذ بدء الدعوة المسيحية مبينين انقساماتها واتجاهاتها.

وفصل المسيحية الشرقية والشخصية الإقليمية يتناول الطوائف المسيحية التي وضعت الوطن والولاء له دون الأخذ بشعار الديانة الواحدة والسماح للأجنبي باحتلال البلاد، وكان موقفها قومياً مع أخوتها من الطوائف الأخرى متحملة كافة التبعات الناجمة عن ذلك وشعارها الدين لله والوطن للجميع.

ويلقي فصل المسيحيون العرب الأضواء على نشأة القبائل العربية المسيحية واندماجها مع مجتمعاتها المحلية ودورها في الحضارة العربية الإسلامية واتجاهها العروبي، والمصير الذي آلت إليه على ضوء التطورات الحاصلة في المنطقة حيث نكتشف في هذا الفصل أن مواطني سوريا بمذاهبهم وطوائفهم، بشرياً واقتصادياً، شكلوا وحدة أعطت لهذه البلاد روحها وشخصيتها الفريدة في التاريخ.

وننهي الكتاب بفصل المسيحيون السوريون: الأقلية والخصوصية، حيث شكلت الأقلية هنا خصوصية استفادت من نظام الملة العثماني واستطاعت أن تعمق من ثقافتها العربية والأجنبية، وما المصير الذي آلت إليه على ضوء التطورات الحاصلة في المنطقة حيث همومها وتطلعاتها هاجس الكثير من المسيحيين، ونتساءل فيما إذا كان التباين عامل هدم أم حافز حركة قائمة على التفاعل في إطار فهم عقلاني ووحدة إنسانية.

إن مادة كالتي تناولناها تقتضي المجلدات العديدة، فموضوع كهذا يمكن تناوله بجوانب عدة، على أننا حاولنا أن نقدم المسيحية بثقافاتها الاجتماعية ودورها في الريادة الفكرية لهذه المنطقة والمصير الذي ينتظرها، والهواجس التي تنتاب أفرادها بعد أن هجر أراضيها أكثر من ساكنيها، والدوافع التي تدفعهم إلى الهجرة والانكماش

والتضاؤل عدديا والامتيازات التي فقدوها وخصوصيتهم الثقافية والـدور الـذي لعبوه فـي تنوير العقول وفي تحرير بلادهم من طغيان الأجنبي... تسـاؤلات تثيرهـا مـادة الكتـاب حتى يعيها الفرد العادي قبل المثقف ويقف حيالها موقفـه الثـابت مـن إيمانـه بقدسية أرضه والتضحية في سبيل بقاء هامته منتصبة، منارة تضـيء المنطقـة بثقافـة نابعـة مـن خصوصيته.

ونود أن ننوه هنا أن المسيحيين لعبوا منذ نشوء الإسلام وقيام الحضارة العربيـة - الاسلامية، في منتصف القرن الثامن حتى القـرن الثـالث عشـر لميـلاد المسـيح، دورهـم الرائد في صنعها، وكان لجو الحرية الذي أتاحه لـهم بعـض الخلفـاء أن ازدهـرت هـذه الحضارة وعظم دور العلماء المسيحيين فـي كافـة فـروع المعرفـة، فـي جـو كـان يسـوده المفهوم القبلي والثقافة القبلية، فكان دورهم دور الباعث على نشوء المعرفة العلمية والفكر الفلسفي الذي استفاد الغرب منه في العصور الوسطى بعد أن نقله واستوعبه بفكـر جديـد نجم عنه الحضارة الغربية العلمية.

إن دراسة التاريخ من أنجع الطرق التي يتوسل بـهـا الإنسـان ليحـدد علاقتـه مـع الماضي وليتعرف على هويته وليتحرر من قبضة الحاضر وليعرف حدود ما هو ممكن ومـا هو مستحيل. ففي دراستنا للماضي نعرف كيف عاش مسيحيو سوريا ووصلوا إلى مكانتهم الثقافية والفكرية دون أن يطرحوا تراثهم أو هويتهم الخاصة جانباً، بل أنـهم اسـتخدموا بعض العناصر الإيجابية في تراثهم كي يجندوا جمـاهيرهم ويسـهلوا عمليـة الانتقـال. إن دراسة مثل هذا النموذج لقمينة بشحذ الهمم وإدخال العزاء على أولئك الذين لم يحالفـهم الحظ في الاطلاع على نشأة ونمو وتطور مسيحيو سوريا.

أخيراً، فإن فكرة هذا الكتاب أطلقها الأخ الصديق فؤاد نزهه ملحاً علي في ذلك، مقدماً دعمه المعنوي والمادي، فله وللقارئ أجزي شكري.

سمير عبده

ص. ب ٩١٤ دمشق

تمهيد

أصبحت الدراسات الدينية، من حيث المادة والتاريخ والسكلجة، موضوعات قائمة بذاتها. كما أدى استقصاء المعاني إلى نشوء عناية واسعة متجددة في فلسفة الدين أولاً، ثم إلى البحث عن أساليب الرمزية التي يتخذها الدين في الفنون والآداب والطقوس والميثولوجيا.

وتظهر بين فينة وأخرى بوادر كثيرة من مصادر مختلفة تشير إلى أن العالم يقف على شفا انبعاث روحي جديد، أو على تحول أساسي في موقفه من قيم الحياة. فبعد حقبة طويلة من المد القومي، عدنا لكي ننظر في أعماق نفوسنا مرة ثانية.

وهناك اتفاق عام على الظاهرات التي تحيط بهذا الانتقال المتعاظم في الاهتمام من الوقائع بما هي كذلك إلى معناها وقيمها بالنسبة إلينا بما نحن أفراد، لكن ما أن نبدأ بتحليل التوقعات التي تحتضنها مختلف الجماعات التي يزخر بها عالمنا عن التحول المرتقب حتى ينتهي الاتفاق، وتقوم - بدلاً منه - آراء تختلف وقوى تتصارع.

ونجد بين هاتين النهايتين القصويين الإيمان التقليدي والعقلانية المقاتلة، كل تفاوت في الرأي يمكننا تصوره حول هذه المشكلة الكبرى المتصلة بالخطوة التالية التي سوف تخطوها البشرية في تطورها النفسي، ولعلنا نستطيع القول إن الموقع الوسط يحتله الذين يعلمون أنهم تجاوزوا المسيحية كما هي متمثلة في الكنسية، ولكنهم لم يضطروا إلى نفي ما في الموقف الديني من قيمة أساسية في الحياة يماثل ما في العلم من أصالة واضحة.

هؤلاء اختبروا الروح اختباراً حياً كما اختبروا الجسد، واختبروا الجسد اختباراً حياً كما

اختبروا الروح، تجلت عليهم الروح تجليات يتعذر شرحها أو تفسيرها بلغة اللاهوت التقليدي أو بلغة المادية الحديثة، ولا يحسون رغبة في قطع عرى التقوى التي يشعرون بها في أعماق قلوبهم بسبب هيكل الحقائق العلمية التي يمنحها العقل ودعمه وتأييده، بل يؤمنون أنهم لو يصلون إلى معرفة أوسع عما تؤديه عقولهم من وظائف داخلية، وإلى معلومات أوفى عن القوانين اللطيفة - المحددة تحديداً كاملاً مع ذلك، التي تحكم النفس الإنسانية، لكان بمقدورهم الوصول إلى الموقف الجديد المطلوب، بدون أن يلجئهم ذلك إلى الانكفاء نحو ما هو إلا لاهوت القرون الوسطى مستتراً بغُلالة رقيقة من ناحية، أو إلى الوقوع ضحية أوهام فلسفة القرن التاسع عشر، من ناحية أخرى.

وهؤلاء الناس أجمعين كتب هذا الكتاب معطياً المفاتيح التي تفتح لهم مغاليق البعض من تاريخ المسيحية المنطلقة من سوريا التي يتلهف الإنسان الحديث شوقاً أن يمسك بها .

لعلنا نرى أن اهتمامات رجل الدين المتفاني واهتمامات المؤرخ واحدة بعينها. فرجل اللاهوت يهتم اهتماما شديداً بالمعتقدات الخاصة بدينه ودين الآخرين، لأن ما يهمه هو حقيقة اعتقاده في مقابل اعتقاد الآخرين. وكذلك ينبغي على المؤرخ أن يهتم اهتماماً شديداً بالمضامين الخاصة بالدين، لأن ما يهمه هو الموقف الإنساني الذي يعبر عنه الدين، وما نوع تأثيره على الانسان، وهل هذا التأثير حسن أم سيئ على تنمية قوى الإنسان، وهو لا يهتم بتحليل (الجذور التاريخية) للأديان المختلفة فحسب، بل (بقيمتها).

فالدين في جوهره هو سعي الانسان المحدود إلى الله، اللامحدود. وتقرب المحدود من اللامحدود يحصل عبر طقوس معينة تختلف من دين إلى آخر ومن حضارة إلى أخرى. فالاختلاف بين الأديان هو اختلاف في العقائد والطقوس، وإن كان الهدف الأخير واحد، وهو الاتحاد إذا جاز التعبير بالله.

ويرى أحد المفكرين[x] أن الأديان السائدة اليوم ليست بالظاهرة الحديثة في تاريخ البشرية، وهي ذات تاريخ طويل بالنسبة إلى الحضارة المدونة. لقد انقسم الناس إلى أديان، وانقسم كل دين إلى مذاهب نشأت إلى حد، من التفسيرات المختلفة. والراجح أن المنطق الذي أدى إلى هذا التنوع وهذه الانقسامات من شأنه أن يعيد نفسه اليوم كما الأمس، إذ بدأ كل شيء من جديد، ومن يحاول توحيد الأديان بمعنى القضاء على التنوع وصهر المذاهب

---

[x] من مقابلة مع أديب صعب أجرتها راغدة حداد ملحق صحيفة النهار - بيروت ١٨ / ٣ / ١٩٥ ص٨

والأديان كلها في دين واحد لا بد من أن يخون إحدى قضايا الدين الأساسية، ألا وهي السلام، لأن فرض هذه الوحدة لا يحصل إلا بالحرب أو العنف. ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة وديناً واحداً.

فيما يرى رفاعه الطهطاوي أن محض تعصب الانسان لدينه لأضرار، غير أنه لا يعد إلا مجرد حمية. وأما التشبث بحماية الدين لتكون كلمة الله هي العليا فهو المحبوب المرغوب [x].

وهكذا مضى الإنسان في دينه متعصباً أو متفاهماً مع تعاليمه، مشجعاً أو مهادناً لها، محترماً الأنبياء أو ملحداً، وفي كل ذلك مضى الكل وبقي الأنبياء يُذكرون. وإذا كانت النصوص الأدبية أبقى ذكراً لأصحابها الأدباء فإن السياسيين قلما نذكر سياساتهم بعد أن ينحوا عن الحكم، والنصوص الدينية خالدة تذكر في كل يوم وتمارس عبادتها ولها تأثيرها الاجتماعي الروحي على حياة الإنسان، والأنبياء يذكرون وتحمد ذكراهم العطرة وهو ما جعل سيرهم مدعاة اعتزاز وفخار للمؤمنين. وهذا ما جعل أحد الصحفيين يسأل الزعيم الكوبي فيديل كاسترو، ما إذا كان يخشى أن يُذكر في التاريخ على أنه بصورة ستالين، فقال إنني سوف أذكر بصورة المسيح.

***

تذهب هذه الدراسة مفترضة أن البحث عن السياق الذاتي في التغيير في الوطن العربي يقتضي العدول عن نهج الاستهانة بشأن أسس قانونية أو عرفية أو نهج المزايدة فيما يطرح من مسألة المسيحية السورية والتي تعمم باسم المسيحية المشرقية في ذكرى مرور ألفي عام على قيامها، وأن السياق الذاتي في التغيير يقتضي البحث والتحليل في التجارب العربية دون عقدة خجل لأن التجارب تحوي بذاتها على أنماط إيجابية واختبارات يمكن مقارنة فعاليتها ووسائل ضبطها ومراقبتها.

ويرى أكاديمي لبناني أن عقدة خجل المثقفين العرب تعرقل سبل إدارة التنوع والجهود في شرعنة أنظمة عربية تعاني معضلة في تدعيم وحدتها الداخلية. يعرف الباحثون الذين ينتهجون العقلانية والواقعية أن العودة إلى الأصالة هي السبيل في المعرفة العلمية وفي المعالجة[xx].

[x] رفاعه رافع الطهطاوي: مناهج الألباب المصرية مطبعة شركة الرغائب – القاهرة ١٩١٢ الطبعة الثانية ص٤٠٦

[xx] د. أنطون مسرة: معضلة المساواة والمشاركة في أنظمة الحكم العربية مجلة المستقبل العربي – بيروت العدد ١١٩ ص٨٨

وهذا يجعلنا نقول إن إحساسنا بالواقع معناه أننا ندع الوقائع تفضي بعضها إلى بعض إلى غير نهاية، نتيجة لحسابات المنفعة التي تقوم بها بطريقة انفعالية قصيرة النظر. ولما كنا لا نقصد عن وعي إلى هدف محدد تحديداً واضحاً، فإن نشاطنا يمكن فعلاً أن يوصف بأنه نوع من الحدث العادي.

ومن المؤسف أن رد فعلنا تجاه الوقائع يجري على نحو خال من الفعل تماماً، فنحن نبني مستقبلنا وفقاً لظروف الزمان دون خطة ولا أساسات، ونتركه معرضاً للآثار المدمرة للاضطراب الواقع بينها، إننا نصيح (لقد وصلنا أخيراً إلى أرض صلبة!) ونحن في الواقع نغوص في تيار الأحداث بلا مساعد أو حائط.

وما قام به علم التاريخ من أعمال خلال القرون الماضية يستحق منا الإكبار، لكن هذه مسألة ، ومسألة أخرى ما إذا كان جيلنا، على الرغم، مما لديه من علم بالتاريخ، لديه إحساس تاريخي صادق. وهذا الإحساس بالمعنى الكامل لهذا اللفظ، يتضمن وضعية نقدية في مواجهة الأحداث القريبة والبعيدة على السواء. وإبقاء هذه الملكة حرة من انحراف الآراء والمصالح ونحن نقدر الوقائع – يقتضي قوة لا يملكها المؤرخون عندنا، إنهم طالما كانوا يعالجون عصوراً بعيدة لا مدلول لها بالنسبة إلى الحاضر فهم نقديون بقدر ما تسمح لهم المدرسة التي ينتسبون إليها. أما إذا كان ثمة ارتباط بين الماضي وبين الحاضر فإننا نلمح فوراً في تقديرهم تأثير موقفهم الخاص: العقلي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو الديني.

وكان التأثير التربوي للعلم على المؤرخين من الضآلة إلى درجة أنهم كثيراً ما شاطروا شعوبهم الرأي بحماسة لا تقل عن حماسة أي شخص بدلاً من دعوة شعوبهم إلى تقدير الوقائع بميزان الفكر كما كان يقضي بذلك واجبهم نحو مهنتهم، بل بقوا مجرد رجال تحصيل علمي. إنهم لم يبدؤوا العمل الذي من أجله دخلوا في خدمة الحضارة، وآمال الحضارة التي انعقدت على قيام علم التاريخ لم تتحقق، شأنها شأن الآمال التي ارتبطت بالمطالبة بالدول القومية.

ويمكن القول إن الشيء ذا القيمة الفائقة الذي يقدمه علم النفس الاجتماعي للمؤرخ في حالة الوثائق، كما في حالة الاتجاهات، هو بخاصة مفاهيم وأنماط من الأصناف والمشكلات لم يألفها المؤرخ، على الرغم من انه يتصدى لها بصفتها واقعاً اجتماعياً وبشرياً، سواء أكان المقصود مواقف سياسية أم ردود أفعال اجتماعية ومجموعات أم شخصيات تاريخية. لقد أثار

هذا الغنى وهذه التطورات الجديدة الانطباع بوجود (أزمة) في التاريخ، وقد ترافقت هذه الأزمة كما في العلوم الاجتماعية الأخرى، دفعة واحدة، ببحث عن الهوية، وفي الوقت نفسه لكي يحمي نفسه من نزوع الهيمنة [x]

في ذكرى بدء الألفية الثالثة لميلاد المسيح كتب هذا الكتاب لا ليثير العصبيات الطائفية، ولا أن يبحث في جوهر خلافات الطوائف، بل أن يتابع النشأة التاريخية لهذه الطوائف المسيحية، محللاً دورها في المجتمع السوري، مبيناً ميزتها في كون المسيح نشأ وتخاطب بلغتها، كما كان الحال لمعظم الرسل، وبالتالي فإن الأراضي السورية هي أراض مقدسة لها شهدت حضارة لا زالت مسيطرة على العالم بعد أن انتقلت إلى الغرب، وبها يتباهى الفرد بما له من أصول عريقة في القدم، أصيلة في المبادئ. إننا اليوم أصحاب حضارة تليدة، ومشكلتنا هي تجديدها والتفوق عليها.

وكانت أنواع كثيرة من المفاهيم المستمدة من الدين والفن قد وجهت في الألفية الأولى للمسيح جهود السوريين في صناعة سلع وأشياء طويلة البقاء، من كاتدرائيات وأديرة وصلبان وشبابيك وصناديق وأثاث.

كما كان من أحداث الألفية الثانية حدوث انشقاقات الطوائف المسيحية وتعدديتها، ومع أن البعض يأسف لهذه الانشقاقات ويرى بها بعداً عن (روحية الشرق) فإن البعض الآخر يرى بها الديمقراطية (السياسية) في بقاء المسيحية في هذه المنطقة، فالتعددية أعطت ميزة ثقافية أخرى هي وصلها بالمسيحية العالمية.

وقد جلب انتشار المسيحية في سوريا نوعاً من الوحدة روحية في أصولها، ولم تقم هذه الوحدة على القوة، بل على التآخي والمحبة، وهذا ما جعل الكنيسة في وضع يمكنها من مد سلطانها بغية تضييق نطاق الصدامات المسلحة، وفرض القانون الكنسي الذي هذبت حواشيه في فترة ارتفاع مقام الكنسية وعظمتها.

ومن يستعرض تطور المسيحية في سوريا بعد المجامع التي كرست انقساماتها، يرى أن القرون التي اتبعت ذلك، شجعت الناس على الاستسلام لأخطاء العالم الدنيوي وفظائعه. وكان في مقدورهم أن يفعلوا هذا دون عناء كثير لأن الحقيقة السائدة حينئذٍ كانت تصور

[x] gerschenkron, A : continuiy in history and other essays, Harvard univ press 1968 P. 459

بحيث تبدو تافهة نسبياً. لقد كانوا يميلون إلى تركيز جهودهم الدينية على الحياة داخل الدير وعلى ما يجب علينا الآن تسميته بالنواحي الخارجية للعبادة الدينية، أي الطقوس والشعائر، إذ كانوا، على ما يبدو، يرون في هذه الطقوس مفتاحاً لما في العالم الآخر من حقيقة أبدية لا يدركها التغير.

وفي ذلك يقول هاملتون جب: إن قيمة الرموز الدينية والاستجابة الشعورية التي تثيرها في أية جماعة دينية، لا تكون متساوية لدى أفرادها جميعاً بل نجد على العكس من ذلك أن ثمة خلافات واسعة في هذا الصدد - بين فريق وفريق بل بين فرد وفرد. وكلما كبرت الجماعة، وكلما اتسع التباين بين الفرقاء المنضوين تحت ظلها في أساليب الحياة وفي الموقع الجغرافي وفي المجالات الاقتصادية وفي المستويات الحضارية أو الثقافية وفي الأصول التاريخية والتقاليد الاجتماعية، عظمت الخلافات بينهم في نزعاتهم ومواقفهم الشعورية والخيالية والعقلية من الرمزية الدينية، ويظل هذا الخلف قائماً ينحدر من جيل إلى جيل رغم كل الجهود التي يبذلها رجال الدين والوعاظ والمصلحون ليصبوا الجماعة في نسق مشترك من النظرة والفكر والعمل، ويوحدوها ويشدوا من أزرها بالتماسك والأحكام)[x].

وينبغي لنا في عملنا هذا ألا نهمل ما قدمه الماضي المسيحي، بل وغير المسيحي، ذلك الماضي الذي ورثه السوريون من بدء المسيحية. فبدون معرفة التماسك الذي قام واشتد بينهم في المجتمع المسيحي الأول، وبدون معرفة شيء عن العلم والثقافة التي استمدوهما من العالم الإغريقي - الروماني القديم ومجتمعات الشرق الأدنى، بدون هذا كله لا يمكن أن نفهم معنى الإنسان السوري الحاضر في سعيه وراء ما هو صالح وجميل، وجهوده في سبيل تحسين عاداته الإنسانية.

وحتى نعيد للإنسان السوري مجده التليد، فإن البحث العلمي في أوسع معانيه، هو وسيلته، وهذه مقوماته الأصيلة في النطاق الذي يستطيع به أن يعيد للماضي بريقه، ولن يكون في وسعه أن يسترد أساس مجد فكري كان له، أو أن يصنع مستقبلاً تتهيأ أصوله وأحواله بين سمعه وبصره قبل أن ينفلت زمامه من أيديه، إن لم يتخذه فهماً ووسيلة وتربية أساساً لنهج

---

[x] هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام ترجمة إحسان عباس، د. محمد نجم، د. محمود زايد دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٤ ص ٢٣٧.

يسير عليه، ويوفيه أثمن ما يقتضيه منه ولاءً وبذلاً.

إن تجديد العقلية السورية لا يمكن أن يتجدد إلا إذا نشأت في عدد من الأفراد نزعة عقلية جديدة مستقلة عن تلك السائدة بين الجمهور، وفي تعارض وإياه، نزعة عقلية تكتسب التأثير تدريجياً على النزعة الجماعية، وفي النهاية تطبعها بطابعها، ولا سبيل إلى النجاة من الهمجية إلا بحركة أخلاقية، ولا وجود للأخلاق إلا في الأفراد. والقلائل النهائي فيما يتصل بمستقبل المجتمع لا يتوقف على مدى اقتراب نظامه من الكمال، ولكن يتوقف على درجات قيم أفراده. وأهم عنصر في التاريخ، وإن كان أقلها سهولة في التحديد، إنما هو سلسلة التغيرات العامة المتواصلة التي تحدث في الاستعدادات الفردية عند الكثيرين. فهذه الاستعدادات هي العلة في وقوع الأحداث، وهذا هو السبب في صعوبة فهم الناس والأحداث الماضية فهماً جيداً. وطباع الأفراد وقيمتهم بين الجمهور والطريقة التي يصبحون بها أعضاء في بنية المجتمع، متلقين تأثيرات ومعطين أخرى، لا نستطيع اليوم أن نفهمها إلا فهماً جزئياً غير واع.

وواجب الأفراد وهو الارتفاع إلى تصور أعلى لمقدراتهم والقيام من جديد بالوظيفة التي لا يستطيع أداءها غير الأفراد، أعني إيجاد أفكار (روحية أخلاقية) فإن لم يحدث هذا في عديد من الحالات، فلا شيء قادر على إنقاذنا.

وتاريخ المسيحية السورية هو تاريخ الكفاح من أجل إيجاد نظرة في الحياة متفائلة، وإذا كانت شعوب أوربا في العصر القديم والعصر الحديث قد أفلحت في إيجاد حضارة، فما ذلك إلا لأن النظرة الكونية التي سادت في فكرها كانت نظرة متفائلة، أخضعت دائماً النظرة المتشائمة ، وإن لم يكن في وسعها أن تقضي عليها بالكامل ، ذلك لأن التشاؤم استنكار لإرادة الحياة. وفي الوقت الذي يكون التشاؤم فعالاً على هذا النحو المجهول الهوية، يكون خطر على الحضارة أشد ..... هنالك يهاجم أقوم الأفكار المتعلقة بتوكيد الحياة، بينما لا يمس أقلها قيمة. ومثله مثل منبع خفي من منابع القوة المغناطيسية، تراه يحدث اضطرابات في فرجار النظرة الكونية فيتخذ مساراً خاطئاً دون أن يشعر به. وهكذا فإن هذا الخليط غير المقترن به من التفاؤل والتشاؤم في تفكيرنا ستكون نتيجته أن نستمر في الإشادة بالنعم الظاهرية للحضارة وهي أمور لا أهمية لها عند التفكير المتشائم، بينما نهمل ما يراه وحده أمراً ذا قيمة، أعني السعي نحو تحقيق الكمال الباطن. والرغبة في التقدم المتجه إلى موضوعات الحواس تستمر

في نشاطها لأنها تتغذى بالواقع، بينما الرغبة الساعية نحو ما هو روحي يصيبها النفاد، لأنها ترتطم بالواقع الباطن الصادر عن إرادة الحياة المفكرة. وحينما ينحسر المد فإن الأشياء التي تنزل إلى الأعماق يقذف بها إلى الشاطئ بينما الأشياء المسطحة تبقى في الأعلى.

ولهذا، فإن ((المسيحية السورية مدعوة إلى أن تعيش الحاضر، لا أن تعيش شكل الانكفاء على مرحلة معينة من التاريخ. والتسمر بها وجعلها محجة و (عصراً ذهبياً) ونموذجاً يحتذى به، فتؤدي هذه الهجرة في التاريخ إلى انتفاء كل سائر المراحل التاريخية التي شكلت وتشكل جزءاً من التاريخ الحقيقي والموضوعي للمسيحيين، وذلك على حساب تاريخ ماضوي، وقد رحل إلى غير رجعة، وأحياناً إلى تاريخ ماضوي أسطوري لم ينوجد إلا في الحلم واليوتوبيا أو التمني، وقد يشكل ما نسميه (التراث) أحد هذه الحصون التي يلجأ إليها بعض المسيحيين للهرب من واقعهم الأليم، ويقعون أسرى هذا التراث. فالتراثات القديمة التي شكلت رافداً من روافد هوية هذه الكنيسة أو تلك لا ينبغي التنكر لها، أو التخلي عنها، لكن عندما يتعلق بها المرء تعلقاً مفرطاً، إن لم نقل مرضياً إلى درجة أنه يجعل من الغصن شجرة ومن الشجرة غابة، إنه يهرب من واقعه ومن التاريخ المحلي))[x].

ومهما تكن مشروعية هذا الرأي أو عدمه، فإن المسيحية السورية، بالهجرة ودونها، تزداد ثانوية كدين وثقافة، وهو ما يجعلها تتحسس خطر اندثارها، ولكن مواجهة هذا الخطر المحتمل أو المزعوم لن تكون أبداً بالهروب بل بالانخراط وبالتجذر وبالتجسد الذي هو ميراث المسيحية، والالتزام بقضايا المجتمع حيث تكون المواجهة وطنية لا مواجهة طائفية وتضعف الرابطة الدينية، ويغلب الولاء الديني على الولاء الوطني حتى لا نقول يحل محله. ومثل هذا الواقع ليس له مثيل في دنيا المسيحيين الأوربيين. فالمسيحي الأوروبي لا يغلب ولاءه الديني على ولائه الوطني، وقد رأينا كيف قامت الحروب بين شعوب تنتمي كلها إلى المسيحية، أو إلى الإسلام.

ليس القول بأن المسيحية المشرقية ثقافة وشعباً مهددة، محض وسواس، لكنه أيضاً قد يكون إسقاطاً، وطرح المسألة على هذا المستوى تستدعي المراجعة.

---

[x] جيروم شاهين: في ملحق صحيفة النهار – بيروت العدد ٣٠٥ ١٠ / ١ / ١٩٩٨ ص ٢

بعنوان: أوقفوا هجرة مسيحيي الشرق.

من يدرس علم التاريخ الحديث في بداياته يرى أنه يستجيب لمطلب معرفة موضوعية أقل بكثير مما يستجيب لبحث التعبيرات والتعليلات الشخصية، إنه أداة لذاتية تبحث عن ذاتها، ذاتية الأفراد والشعوب الباحثة عن أصالتها الخاصة. وهكذا فإن سينيوبوس أكثر المؤرخين علموية يستسلم إلى البوح بأنه لا يوجد علم تحيط به شروط بلغت هذا الحد من النقص مثل التاريخ . فلا توجد ملاحظات مباشرة أبداً، بل توجد دائماً واقيات قد تلاشت، ثم أنه لا توجد واقعات كاملة، فهناك دائماً أجزاء مشتتة، محتفظ بها مصادفة، وبقايا من الماضي. فالمؤرخ يمارس مهنة لمام الخرق، إنه ملزم كذلك بأن يجري أبحاثه على هذه المواد السيئة بطريقة غير مباشرة، مستخدماً أسوأ أشكال محاكماته وهو الرهان بالمماثلة. إن التاريخ يأتي في أدنى درجة من سلم العلوم، إنه الشكل الأكثر نقصاً للمعرفة[x] .

ومن حيث المبدأ فإن الطابع التاريخي ليس في الواقعات، إنه لا يوجد إلا في أسلوب المعرفة، ولا توجد واقعات كيميائية، إن الواقعة نفسها تكون أو لا تكون تاريخية تبعاً للطريقة التي نعرفها وفقاً لها، فلا توجد إلا أساليب معرفة تاريخية.

مفهوم الدين عند الإنسان

من المفترض أن العلوم الاجتماعية تقوم على حقيقتين أساسيتين: إحداهما أن الإنسان كائن اجتماعي، أما الأخرى فتتصل بالسلوك الإنساني الذي يصدر في أشكال أو أنماط منتظمة، وفي صورة على قدر كبير من الاطراد والتواتر. إننا إذا لاحظنا الإنسان في ممارسته لشؤون حياته اليومية، وما يتطلبه ذلك من ألوان النشاط، نجد أن أنواعاً معينة من هذا النشاط

---

[x] Elton, G .R: The practice of history . N. Y. Crowell, Sydney, univ press, london 1968 P 171

تتكرر بنفس الصورة تقريباً. أو بمعنى آخر يميل الناس في المجتمع إلى الاتفاق أو التشابه فيما يصدر عنهم من سلوك في المواقف المختلفة، أو يميلون إلى السلوك بشكل مقنن إلى حد كبير. إن ملاحظة هذه الأنماط السلوكية، وإن كانت لا تعني الاتفاق التام بين سلوك الناس في المجتمع، إلا أنها تعني أن هناك عناصر مشتركة في هذا السلوك يمكن تجريدها.

والواقع أن صفة الاطراد والتواتر في الظواهر الإنسانية تشكل أساساً لا يمكن إنكاره بالنسبة للعلوم الاجتماعية، إذ لولا هذا التواتر لما نشأت العلوم الاجتماعية. ودونه لن يتأتى الوصول إلى قواعد عامة أو قوانين، هذه الخصائص السلوكية المتواترة التي نلاحظها في علاقات الناس، ومعاملاتهم بعضهم مع البعض الآخر، وفي حياتهم المشتركة، إنما ترجع في المقام الأول إلى الطبيعة الاجتماعية للإنسان[x].

إن دراسة الدين على أتم وجه، دراسة عسيرة دوماً "فأول شكل من أشكال الدين يتطلب الإحساس الديني أكثر مما يتطلب في المذاهب الدينية. إن الدين مدين بميلاده، كما يظهر، إلى بعض غرائز غامضة – ولكنها عامة يشترك فيها الجنس البشري كله – هي غرائز الخوف والعجب والخضوع والاعجاب، بشيء خارج، أي ما يصح أن نسميه في كلمة واحدة (الروع) أو (التقى). فهذا المعنى – معنى الشيء الرائع – يغمرنا قبل أن نكوّن لأنفسنا رأياً واضحاً عما فوق الإنسان أو فوق الطبيعة بأمد طويل"[xx]

وبعد (فالدين هو الأسلوب الأساسي الذي يطبع تصرفات الإنسان وتفكيره، ودَفْقَ عواطفه بطابعه، كما أنه أقوم سبيل لانطلاق الإنسان من أسار نفسه).

معاني الديانة المسيحية

من يدرس الديانة المسيحية يرى أنها نشأت متشددة أعطت من اعتنقها إحساساً بالزهد والفخر والأمان الداخلي، ومن ثم انتشرت وتوسعت وانضم إليها الآلاف أول الأمر ثم بعد ذلك ملايين البشر، لأن نصوصها وممارستها تبدأ نقية واضحة مريحة، ولولا هذه القناعة

---

[x] د. الفاروق زكي يونس في تقديمه لكتاب (نظرية الثقافة) تأليف مجموعة من الكتاب سلسلة عالم المعرفة الكويتية رقم ٢٢٣ ص٧

[xx] سيريل بيرت: علم النفس الديني ترجمة سمير عبده دار الأفاق الجديدة – بيروت ١٩٨٥ ص١١

الشديدة في البداية ما كان لهذه الديانة أن تنتشر ثم تغزو أمماً وشعوباً، ولما أمكنها أن تستمر لألفي عام.

وقد لاقت المسيحية رسالتها عند الناس قبولاً أعظم وأوسع انتشاراً من أية عقيدة أخرى، فمما تجدر ملاحظته أن الشرقي بما جبل عليه من صبر ظاهر إنما هو في الحقيقة إنسان نافذ الصبر، ذلك أنه لعجزه عن تحمل الألم والحزن يلجأ على الفور إلى رفرف من أشياء أسمى وأنبل ويهرب من خلل الإحساس الدنيوي.

والمسيحية تشجع التصوف وتبشر بفلسفة للآخرة حافلة بالرجاء، وهي غنية برموزها ولها شعائر سامية شريفة. وفضلاً عن ذلك فهي تروق الطبقات الدنيا بوجه خاص، حيث تعلم الناس بأنه عند الله يكون العبد الرقيق صنوا للإمبراطور، وتأمر بالمحبة الأخوية والزمالة بين الناس، وحببتها هذه الرسالة إلى كل محب للبشر، و لم تسبقها ديانة أخرى إلى وضع الصدقات موضع التنفيذ العملي إلى هذا الحد.

وكانت الكنيسة المسيحية منظمة تنظيماً يدعو إلى الإعجاب ، فإن زعماءها كانوا منذ القديس بولس رجالاً أتصفوا بالمقدرة والكفاية الإدارية، وكانت لها على منافستها الميثرائية ميزتان لا سبيل إلى قياس ذرعهما. أولاهما أنها كانت تسمح للنساء أن يلعبن دوراً بارزاً في حياتها حيث أخذن مناصب الشماسات أو رئاسة الأديرة. فقد كانت بمصر عدة أديرة للراهبات في القرن الثالث، شأنهن في السنوات الأخيرة - كن يستطعن أن يصبحن أشخاصاً لهن قدر وأهمية.

كما كانت نقطة القوة العظيمة الثانية للمسيحية تكمن في سماحها منذ أبكر أيامها للفلسفة الإغريقية أن تؤثر فيها أثرها، ولا شك أن هذا التأثير وهب اللاهوت المسيحي محتوى فكرياً جعلها موضع القبول لدى رجال من أقدر وأعمق مفكري ذلك الزمان.

ويرتكز الدين المسيحي على عدة ركائز منها:

١- إن الدين المسيحي دين تاريخي وليس هو (أيديولوجيا) أو بناء فكري أو غنوصية فلسفية، وهو تاريخي لمعنيين:

آ - هو تاريخي لأن مؤسسه المسيح هو شخصية تاريخية ظهرت في فترة معينة من الزمن، ولد وترعرع في جهة محددة من العالم وحوادث حياته مسجلة في كتب

ووثائق لا يمسها أي شك.

ب- وهو تاريخي ثانياً لأنه ثمرة وحي امتد عدة قرون (عشرون قرنا) والذي وصل إلى القمة في شخص المسيح، حسب تعبير القديس بولس (أن الله الذي كلّم الآباء قديماً في الأنبياء كلاماً متفرق الأجزاء مختلف الأنواع كلمّنا أخيراً هذه الأيام في الابن الذي جعله وارثاً لكل الأشياء وبه أنشأ الدهور) (رسالة إلى العبرانيين ١: ١).

٢- أحد المميزات الأساسية لهذا الوحي هو ظهوره المرحلي عبر التاريخ ..... لم يترل دفعة واحدة بل ساير ظروف تطور الإنسانية واحتياجاتها. وهناك ترابط وتقابل بين فترات الوحي المختلفة وهي في نظر المسيحية تتجه كلها نحو مجيء المسيح وتنبئ به وتشير إليه تحت ستار الرموز والإيماءات. وقد ميز توما الاكويني بين ثلاث مراحل كبيرة للوحي: آ- قبل الناموس مع إبراهيم ب - تحت الناموس مع موسى ج - تحت نعمة المسيح مع الرسل.

٣- إن تعليم العهد القديم إلهي من وجهتين: فمن جهة، لقد نقل بواسطة وحي علني أوصله الله إلى أشخاص مختارين هم الأنبياء، ومن جهة أخرى قد سجل في أسفار كتبت تحت إلهام من عند الله، وعدد من الكتب. وعلى هذا الأساس قبلته اليهودية، والمسيحية بدورها تناولته. والكتب التي تحوي العهد القديم كانت ولا تزال الكتب المقدسة للشعب العبري، قبل أن تصبح الكتب القانونية المعتبرة لدى الكنيسة. لقد تقبلته الكنيسة كتراثها الأصيل وتعتبره ملهماً مع اعترافها بأنه غير كامل وأنه يجد تكملته ومعناه العميق في العهد الجديد.

٤- إن الوحي الوارد في العهد القديم يحوي تعليماً خاصاً بالله والإنسان وبصلاتهما، وهو ينظم سلوك الإنسان والمجتمع، ويفرض طرق العبادة والصلاة.

محتوى الوحي الوارد في العهد القديم.

٥- إن الله هو القديم، الواحد، المتعالي، الكامل، يخلق العالم من لا شيء بملء حريته لا بحتمية طبيعية.

٦- خلق الإنسان على صورته وشبهه لكي يشاركه في حياته ويجعله ملكاً للخليقة. خلقة للسعادة الكاملة التي لا تتحقق إلا بحياة الصداقة والوحدة مع خالقه معترفاً بحالته كمخلوق، ولكن أغوى الشيطان الإنسان فعصى ربه ففقد امتيازاته. انفصل الإنسان عن

أساس كيانه واغترب عن الله، فاستولى عليه الفساد، تحطمت فيه صورة الله، فتفككت وحدة الإنسان وتصمدت مع ذاته. أصبح الإنسان عبداً ثمه غير قادر على عمل الخير. وبمرور الأجيال تراكمت الخطايا فترك الإنسان العنان لأهوائه وأخذ يضمر الحقد لأخيه ويقاتله، وبدلاً من عبادة الإله الواحد أخذ البشر يعبدون المخلوقات والأصنام ويؤلهون أهواءهم. هذا هو عهد الوثنية والشرك[x].

وقد بشر الله آدم وحواء بعد سقوطهما بالخلاص، ووعد لنوح، بعد الطوفان، بنظام جديد للعالم مختاراً إبراهيم أبا للمؤمنين إلى أن كرت السنين وأتى المسيح في النهاية.

ولادة المسيح

بعد ولادة المسيح أخذت شخصيته تظهر بهويتها الحقيقية وتكشف عن ماهيتها. نعم إن المسيح إنسان بكل معنى الكلمة والدليل على ذلك حياته الأرضية وآلامه وموته. ولكن حتى أثناء حياته الأرضية كان يلقب بكلمة الرب (كيريروس) و معناها الأصلي هو الملك، المسيح المالك، ونفس التسمية أطلقت عليه، بعد بعثه، في الجماعة الفلسطينية.

ويروي لوقا الإنجيلي، المعروف بدقته التاريخية، أن يوسف ومريم كانا يعيشان في مدينة الناصرة الواقعة ضمن مقاطعة الجليل ومن هناك صعدت العائلة المقدسة إلى مدينة بيت لحم، الواقعة في مقاطعة اليهودية، حيث جذور العائلة، وذلك لأغراض إحصائية، وفي بيت لحم ولد يسوع المسيح عام ٤ ق.م والبعض ذكر (٧ ق. م و ٧م)، من أم يهودية، هي العذراء مريم، أيام هيرودوس الملك (متى ٢: ١ ولوقا ٢:٤) متجسداً من الروح القدس، ومات على الصليب (٢٩ أو ٣٠م) في أورشليم، لخلاص البشرية، وقام من القبر في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء واعداً بأن يبقى مع العالم (كل الأيام إلى انقضاء الدهر) (متى٢٨: ٢٠)[xx]

وبعد مرور بعض الوقت رجعت العائلة المقدسة لتعيش في مدينة الناصرة من أعمال الجليل، وهناك نشأ يسوع وتربى على العوائد اليهودية (لوقا ٢: ٣٩ - ٥٢) ... كل هذه المعلومات أتت طبعاً بحسب الرواية الإنجيلية.

---

[x] الأب الدكتور حورج شحاته القنواتي: المسيحية والحضارة العربية المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ص١١ و١٢

[xx] الحسن بن طلال: المسيحية في العالم العربي العهد الملكي للدراسات الدينية عمان ١٩٩٥ ص١٣

وتاريخية يسوع المسيح، مع التسليم ببعض المفارقات في التفاصيل مدعومة في إشارات وردت في مراجعة تاريخية مسيحية وغير مسيحية، من المراجع المسيحية نذكر طبعاً كتابات آباء الكنيسة التي تؤيد كل التفاصيل الواردة في الأناجيل وفي العهد الجديد كله. ومن المراجع غير المسيحية نذكر كتابات المؤرخ اليهودي يوسيفوس الذي عاش في القرن الأول للميلاد وشهادة المؤرخ الروماني كورنيليوس تاسيتوس (٥٥ - ١١٧) الذي كتب عن نيرون وإحراقه مدينة روما، ومحاولته تبرئته نفسه من هذا العمل وإلصاق التهمة بالمسيحيين، فأتى على ذكر المسيحيين ومسيحهم مستطرداً إلى بعض التفاصيل.

ويذكر القرآن الكريم مريم العذراء في ٣٤ موقعاً في ١٢ سورة، ويخصص سورة كاملة باسمها تقع فيها ٩٨ آية. في هذه السور والآيات الكريمة، يقدم القرآن صوراً وصفية لمريم في مراحل حياتها المتعددة: قبل ولادتها، وبعد اختيارها لتحمل بكلمة الله، وأثناء وضعها للمسيح، وخلال انطلاقة المسيح في الدعوة إلى عبادة الله الواحد.

تبين الآيات ٣٥ - ٣٧ من سورة آل عمران الوضع العائلي لمريم قبل ولادتها. وتقول هذه الآيات إن امرأة عمران كانت حاملاً وإنها نذرت ما في بطنها لله. ودعت الله أن يتقبل منها نذرها. ولكن عندما وضعت مولودها وتبين لها أن المولود أنثى حزنت وأصيبت بخيبة أمل. لقد كانت تتمنى لو كان المولود ذكراً حتى يكون قادراً على العمل في خدمة الدعوة إلى الله[x].

إذا انتقلنا إلى شهادة القرآن الكريم عن الموضوع.... تقول الآيتان ١٥ و ١٦ من سورة مريم: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيا فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا)، ثم يوجه الكلام إلى مريم في الآية ٢٧: (يا أخت هارون ....) وهارون هنا إشارة إلى قوم اليهود، وحرفيا هو أخو موسى مؤسس الديانة اليهودية بحسب التوراة والقرآن. تقول الآية ٤١ من سورة آل عمران: (قالت الملائكة يا مريم إن الله أصطفاك وطهرك وأصطفاك إلى نساء العالمين)، وتقول الآية ٤٤: (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن

---

[x] محمد السماك: مريم في القرآن الكريم صحيفة النهار - بيروت ١٩ / ١٢ / ١٩٩٨ صـ١٢

المقربين). غير أن الآية ٣٤ التي تتكلم عن ولادة مريم، تقول (إذ قالت امرأة عمــــران ربي إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم). وعمران هنا إشارة إلى قــوم اليهود، وحرفياً عمران (أو عمرام) هو والد موسى وهارون ومريم كما جاء في التوراة (خـروج ٦: ٢٠)[x].

انتشار المسيحية

انتشرت المسيحية شفاهة في بلاد الشام، ومن خلال الكلمة المنقولة في الســنوات الأولى بواسطة رسل المسيح الذين كانوا يكررون ويبشرون بتعاليمه وسيرته، وهي قبل كـــل شــيء حركة روحية اعتنقها أناس من مختلف الطبقات: عمال فقراء وموظفون في الإدارات الحكومية بل ورجال مثقفون تجمعهم روح واحدة والسعي وراء حياة فاضلة كلها مكرســة لعبــادة الله والاتصال بالمسيح وخدمة الغير.

وعندما اتسعت رقعة البلاد التي آمنت بالمسيحية، اضطر الرسل لأن يكتبوا رســائل إلى الكنائس التي أسسوها وبلغ عددها ٢١ رسالة وهي تشكل الآن الجزء الأكبر من العهد الجديد. أما الأناجيل الأربعة، والتي تمثل الجزء الأول والأهم من العهد الجديد، فهي معروفــة بأسمــاء كتابها: متى ومرقص ولوقا ويوحنا، وكتبت بين عامي ٧٠ و ١٠٠ ميلادية، ولذا كانت متأثرة بمجمل الرسائل الـــ ٢١ المشار إليها سابقاً، وفي مقدمها رسائل بولس الرسول (١٣ رسالة)[●]. وهي الأكثر فلسفة وفكراً ولاهوتاً متضمنة سيرة المسيح بما فيها أقواله وتعاليمه. أما (الرســائل) فإنها تشرح وتفصل تلك التعاليم في ضوء الاستفسارات التي كانت تصل إليهم مــــن أتبــاع المسيحية. وفوق ذلك يحتوي العهد الجديد على سفر (أعمال الرسائل) والذي يقال إن الـــذي كتبه هو القديس لوقا، وأما السفر أو الكتاب الأخير فهو ما يسمى (سفر الرؤية) والذي كتبــه القديس يوحنا، ولذلك لقب بـــ (اللاهوتي) لأن السفر في معظمه تنبؤات بالمســـتقبل ورؤى لاهوتية.

---

[x] القس عيسى دياب: المسيح عربي أم يهودي .... القومية في المسيحية صحيفة النهار - بيروت ٢٤ / ١٢ / ص١٢

[●] بولس الرسول هو أحد أهم دعائم المسيحية في بدء انتشارها، كان مواطناً رومانياً يتمتع بجميع حقوق المواطنة، ولهذا اسـتطاع التنقل في العالم الروماني وهو الواسع ثقافة بدءاً من دمشق والأناضول واليونان حتى حل اخيراً في روما، وأسس كنيسة في كـــل مكان قام بزيارته. ويعود نجاحه إلى أن مفهومه للمسيحية كان على درجة عالية من الذكاء والشمولية.

والأناجيل الأربعة السالف ذكرها بدأ الكتاب المسيحيون في القرن الثاني الميلادي باقتباسها وشرحها وقاموا بعمل ترجمات منها إلى لغات متنوعة كالسريانية والقبطية واللاتينية، ولذا فما من شك في أن هذه الأناجيل سجلات رسولية صحيحة صادقة. وتؤيد الرسائل في العهد الجديد صورة حياة المسيح وتعاليمه وأعماله وشخصه كإنسان وإله كما وردت في الأعمال الأربعة.

وتمتاز الأناجيل الأربعة بخاصياتها التي تنفرد بها بسبب غرض الكاتب في كتابته والأشخاص الذين كتب إليهم كما كانت ماثلة في ذهنه. فقد كتب متى من وجهة النظر اليهودية، وهو يقدم لنا يسوع كالمسيا الملك الذي تمت فيه نبوات العهد القديم. ومرقص يكتب للأمم وربما كان يقصد الرومانيين منهم بوجه خاص، وهو يقدم لنا فوق كل شيء قوة المسيح للخلاص كما تظهر في معجزاته. أما لوقا، وهو يكتب للمثقفين من اليونان، يكتب لهم في لغة بأسلوب أكثر روعة مما كتب غيره من كتبة الأناجيل، ويظهر لنا تأثير الرسول بولس في إبراز نعمة المسيح التي تشمل كل الساقطين والمنبوذين والفقراء والمساكين بعطفه. أما قصد يوحنا الخاص فهو في أن يظهر يسوع كالكلمة المتجسد الذي يعلن الأب للذين يقبلونه (يو ٢٠: ٣٠: و٣١).

واستقى البشيرون الأربعة المعلومات التي ضمنوها في أناجيلهم من مصادر موثوق بها، حيث كان متى ويوحنا رسولين اتبعا يسوع ولذا فمعرفتهما بالحوادث التي سجلاها هي معرفة شخصية. أما مرقص فقد كان رفيقاً لبطرس وقد ذكر بياس حوالي سنة ١٤٠ ميلادية أن مرقص ضمّن في إنجيله ما وعظ به بطرس عن يسوع. ويظن بعض العلماء أن مرقص هو أول الأناجيل التي دونت، وأن متى ولوقا استخدما على وجه العموم نفس النقاط الرئيسة التي وضعها مرقص.

وهناك أناجيل غير قانونية تخص كل ما كتبه بعض الكتاب في العصر المسيحي المبكر بعد العصر الرسولي، بما يختص بأخبار سيرة المسيح، ونسبوه إلى غيرهم كأنجيل يعقوب وأنجيل نيقوديموس وأنجيل المصريين وأنجيل العبرانيين وأنجيل الناسيين وأنجيل بطرس وانجيل توما وانجيل الطفولية وهو أنجيل عربي. والمظنون أن أنجيل يعقوب كتب في القرن الثاني. وأما موضوع هذه الأناجيل فوصف لحالة يوسف والعذراء مريم، والعجائب التي عملها المسيح في حداثته، ومما

شاهده في الهاوية وغير هذه مما يرضي عقول السذج ومن شابههم من العامة الذين يرتاحون إلى مثل هذه الأساطير وأخبار القصصيين[x].

وقد انتشرت المسيحية في المئة الأولى من تاريخها في بلاد كثيرة، عُدَّ منها واحد وأربعون مركزاً. وكان في المئة الثانية جماعات منظمة في ولايات المملكة الرومانية بأجمعها. وذكر ترلياس القرطاجي في العقد الأخير من القرن الثاني، إنها ملأت جميع البلاد والأرياف ونفذت إلى سائر طبقات الجماعات البشرية، وهتف فخوراً بذلك قائلاً (ما عهدنا بأنفسنا إلا من أمس، وقد ملأنا مملكتكم برمتها، المدن منها والجزر والقلاع والمدن المستقلة والمجالس والمعسكرات والبلاط ودار المشيخة والسوق المشهورة بالفوروم، ولم ندع لكم سوى هياكل (الوثنية)[xx].

وفي إطار القرنين الأول والثاني الميلاديين تبلورت العقيدة واكتملت نصوص العهد الجديد، فكان عصر الاستشهاد الأول المتمثل في قبول الموت طواعية في سبيل التمسك بهذه الديانة الجديدة.

وفي هذا السياق لا يمكن إنكار مدينة انطاكيا في نشر الدعوة المسيحية فهي (مدينة الله الأولى) وأهم مركز للمسيحية بعد أورشليم، وأول ما دعى المؤمنون بالمسيح مسيحيين كان بها (١ ع ١١: ٢٦). وبعد استشهاد استفانوس من أوائل الشماسة في المسيحية في اورشليم هرب المسيحيون من هذه المدينة إلى انطاكيا وبشروا بالأنجيل لليهود واليونانيين هناك (١ع١١: ١٩ - ٢١). وقد أرسلت الكنيسة في اورشليم برنابا ليقود العمل التبشيري في انطاكيا ودعا بولس معه ليعاونه في الوعظ والتعليم (١ع١١: ٢٢ - ٢٥) . وبطريرك انطاكيا وسائر المشرق يتقدم في الترتيب الكنسي على بطريرك القدس. وحين انتقلت (البطريركيات) المسيحية من انطاكيا انتقلت لأسباب سياسية.

---

[x] نخبة من الأساتذة: قاموس الكتاب المقدس مكتبة المشعل - بيروت الطبعة السادسة ١٩٨١ ص ١٢٢

[xx] البطريرك ماراغناطيوس أفرام الأول برصوم: الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة طبعة حمص ص٢١١

كثر أتباع الديانة المسيحية يوماً عن يوم حتى صارت هي نفسها ديانة الإمبراطورية البيزنطية وامتدت لتشمل شعوباً كثيرة، ذات حضارات متباينة ومتباعدة.

ومع توسع المسيحية وتحولها إلى دولة وإمبراطورية دخلت مرحلة الخلاف العقائدي الذي أدى إلى العديد من الانقسامات، وفي إطار الألفية الميلادية الأولى وحدها كان هناك مجمعات مسكونية تبحث أموراً لاهوتية، أولها مجمع نيقية الأول (٣٢٥) والذي أرسى أسس العقيدة فيما صار يعرف بـ (قانون الإيمان) وثانيها مجمع القسطنطينية الأول (٣٨١) وثالثها مجمع أفسس (٤٣١) ورابعها مجمع خلقيدونية (٤٥١) والتي تبنت عقيدة الإمبراطور أو الملك، وخامس مجمع (أو مؤتمر) كان مجمع القسطنطينية الثاني (٥٥٦) وسادسها مجمع القسطنطينية الثالث (٦٨٠) وآخرها مجمع نيقية الثاني (٧٨٧) حيث في هذه الألفية الانقسامات الأرثوذكسية، ومن ثم تبعتها الانقسامات الكاثوليكية والبروتستانتية في القرون التالية حيث سيطرت الكنيسة الكاثوليكية طوال العصور الوسطى إلى أن كانت الحركة الإصلاحية الكبرى المسماة بـ (البروتستانتية) التي قادها الراهب الكاثوليكي مارتن لوثر عام ١٥٣٩، وهو الأمر الذي أدى إلى وجود وتعايش كل من البروتستانتية والكثلكة جنباً إلى جنب في معظم دول أوربا الغربية والولايات المتحدة، بينما تمسكت بعض دول أوربا الشرقية بالمذهب الأرثوذكسي، ولعل أشهرها وهو ما لايزال قائماً حتى الآن في روسيا، واليونان ويوغوسلافيا وبلغاريا والقبطية في مصر والسريانية في سوريا مع الأرثوذكس العرب في سوريا ولبنان والأردن وفلسطين والعراق ومصر.

أما في الشرق فقد دخلت المسيحية في حال كمون مع ظهور الإسلام وانتشاره وسيادته، وبدأت الأكثرية المسيحية تتحول إلى الإسلام أو إلى الهجرة.

وكان الصراع المذهبي بين الكاثوليك والبروتستانت هائلاً وضخماً منذ بداية القرن السادس عشر، ثم خفت حدته تدريجياً مع الاستنارة الليبرالية والتقدم العلمي وسيادة العقل، إلى أن ظهرت الماركسية في القرن التاسع عشر، وبدت كما لو كانت نوعاً من (الدين الجديد) فتحالف كل من الكاثوليك والبروتستانت – وحتى الإسلام – في مواجهة هذا الخطر الجديد

المسمى بـ (الشيوعية). وعندما تفكك الاتحاد السوفيتي وضمر خطر الماركسية، إذا بالتحالف المسيحي مع الإسلام ينفرط عقده، ويتحول ليكون مع الديانة اليهودية، ثم أخذ تسمية أكثر قبولاً في الأدبيات السياسية هي (الحضارة الغربية) المبنية على القيم (المسيحية – اليهودية) لكي تكون في مواجهة حضارات أخرى كثيرة، تمت تسميتها جميعاً في الدراسة الشهيرة للمفكر الأمريكي صموئيل هانتنغتون (صراع الحضارات) ولعل أبرزها هو (الصراع بين الإسلام والغرب) وهو صراع محكوم عليه بالفشل – بخلاف الصراع بين الرأسمالية والشيوعية في سنوات وأحقاب الحرب الباردة من ١٩٤٥ إلى ١٩٩٠[x].

تلك ملامح مكثفة تناولت المسيحية: النشوء والارتقاء دون الوقوف في محطات كثيرة استوعبتها آلاف المجلدات التي كتبت عن الموضوع للوصول إلى المسيحية العربية.





---

[x] د. ميلاد حنا: الصراع بين الإسلام والغرب – العولمة والمعلومات هي المرض وهي العلاج صحيفة الحياة – لندن العدد ١٢٨٠ ٢٥ / ٣ / ٩٨ ص١٩

لغة المسيح السريانية - السورية

كثيرة هي الأقاويل التي تناولت ماهية اللغة التي تكلم بها المسيح، حتى أن البعض زعم أن لغة المسيح الأهلية كانت اللغة اليونانية لأنها اللغة الغالبة في فلسطين وسورية في ذلك العصر منذ أن استولى عليها السلوقيون خلفاء الاسكندر ذي القرنين. ولكن من كان مطلعاً على التاريخ القديم يحكم أن هذا الزعم فاسد لا صحة له، إذ يعلم أن اللغة التي تكلم بها المسيح، أي اللغة العامية في أورشليم وسائر فلسطين في أيام المسيح لم تكن اليونانية ولا العبرانية، بل (السريانية) التي يقال لها أيضاً الآرامية، وبعضهم يسميها الكلدانية، وأن العامة عند اليهود تسمي هذه اللغة السريانية بلفظة الترجوم، أي الترجمة، وأما في كنيهم فتسمى الآرامية والسورية أي السريانية، والقلم المربع الذي يستعملونه إلى اليوم يسمونه الآثوري، نسبة إلى بلاد أثور أي نينوى.

ولا يستبعد البعض افتراضية كون الإسرائيليين بني يعقوب آراميين في الأصل وهاجروا من جنوب الحجاز إلى منطقة عسير في شبه الجزيرة العربية وتبنوا فيها اللغة العبرية، وفي عسير تغرب منهم نفر قليل في بلاد مصر وصاروا فيها أمة كبيرة. وهذا الرأي قد يضيء جانباً من عبارة وردت ليعقوب في سفر التثنية وفيها قال (آراميا تائها كان أبي)[x].

ولقد حصل اليهود من الآراميين على أبجديتهم بين القرنين السادس والرابع ق. م وبهذه اللغة والأبجدية كتب سفردانيال وعزرا في التوراة [xx].

---

[x] د. كمال صليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب ترجمة عفيف الرزاز الطبعة الثانية مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ١٩٨٦ ص٧١

[xx] نخبة من الأساتذة: قاموس الكتاب المقدس فصل آرمية الكتاب المقدس مكتبة المشعل - بيروت ١٩٨١ مرجع سابق ص٧١

ومن عجيب الأمور أن انتشار لغة السريان الآراميين بلغ في عهد السلوقيين مبلغاً عظيماً، فأضحت اللغة السريانية اللغة السائدة في سورية وما بين النهرين وجزيرة العرب وأرمينيا. وبلغ امتداد هذه اللغة إلى بلاد الصين والهند وإلى بلاد النيل ولا نظن أن لغة أخرى حتى ولا اليونانية جارت السريانية في اتساعها إلا الإنكليزية في الوقت الحاضر[x]

وهذه اللغة السريانية اليهودية التي يسميها الغرب الكلدانية قد حفظها اليهود إلى يومنا هذا بغاية الحرص والتمسك ويستعملونها في كنائسهم مثلما يستعملون اللغة العبرانية حيثما وجدوا في العالم كله. ويؤدبون بها أولادهم مثلما يؤدبونهم بالعبرانية، وهي تختلف قليلاً عن سريانية اليوم المعهودة لكنها أفصح منها في وجوه. واليهود يلفظون السريانية كما يلفظها الشرقيون الذين يقال لهم الكلدان كما يلفظها الغربيون وهم السريان.

وكان اليهود قد تعلموا الكلدانية حين كانوا في جلاء الكلدانيين ببابل في القرن السادس قبل المسيح وظلوا يستعملونها عوض اللغة العبرانية حين عادوا من ذلك الجلاء في عهد كورش الملك، بعد أن قضوا في الجلاء نحو نصف قرن، وإنما تسمى هذه اللغة في بعض الكتب عبرانية لأنها كانت لغة العبرانيين بعد رجوعهم من الجلاء.

ولنا العديد من الشواهد على ذلك في أسفار العهد الجديد نفسه الذي فيه تسمى لغة أورشليم وسائر فلسطين في أيام المسيح عبرانية شواهد على أن المراد بالعبرانية في تلك المواضع هو اللغة السريانية، ويمكن التأكد من ذلك في يوحنا ١٩: ١٢ و١٧ حيث تجد ألفاظاً سريانية موردة بصحتها ومسماة عبرانية.

ويؤيد المطران يوسف داود ذلك ويورد سبعة براهين في هذا الشأن ملخصها مايلي[xx] :

١- إن كل الذين ألفوا الكتب في فلسطين في ذلك العصر وما يقرب إليه كتبوا باللغة السريانية المذكورة التي بسبب كتابتها بالخط البابلي المربع ولأن اليهود تعلموها في بلاد الكلدانيين التي يسميها الإفرنج الكدانية ... من ذلك اسفارطوبيا ويهوديث وابن سيراخ والترجومات الكثيرة، أي ترجمات أسفار العهد القديم عند اليهود باللغة الكلدانية المذكورة

---

[x] الأب لامنس اليسوعي مجلة الشرق – بيروت ص ٧٠٥ – ٧٠٧ ١٩٢٨

[xx] المطران يوسف داود: كتاب القصارى المطبعة الأدبية – بيروت ١٨٨٧ ص٤ – ١٠

وجانب كبير من كتب التلمود. وأما في اللغة العبرانية فقلما كتب علماء اليهود في ذلك العصر، وحتى في اللغة اليونانية فلم يصنف أحد منهم شيئاً في فلسطين، حتى أن يوسف الأصفر الأورشليمي، المؤرخ اليهودي المشهور نفسه الذي عاش في القرن الأول للمسيح والذي كتبه التاريخية محفوظة إلى اليوم باللغة اليونانية يشهد في مقدمة كتاب الحروب اليهودية أنه كتب أولاً تواريخه في لغة جيله أي في السريانية التي كانت في ذلك الزمان لغة اليهود كما تقدم القول. وبعد ذلك نقلها إلى اللغة اليونانية لإفادة الأجنبي. ولا يعترض بسفر الحكمة وسفر المقابيين الثاني اللذين من جملة أسفار العهد القديم المسماة القانونية الثانية صنفا في الأصل في اللغة اليونانية بحسب تقرير العلماء المحققين. ذلك أنه لا يعلم متى صنف هذان السفران ولا في أي مكان ولا من هو مصنفهما، فمن المحتمل والأرجح أنهما صنفا في مدينة الإسكندرية التي لا ينكر أن اليهود فيها كانوا يستعملون اللغة اليونانية وفيها ظهرت كتب اليهود بهذه اللغة.

ومما يؤيد قول المطران داود هو أن سفر المقابيين الثاني يحوي في أوله رسالتين أرسلتا من يهود فلسطين إلى يهود مصر، وأن مؤلفه يقول في ٢: ٢٤ أن كتابه هو مختصر كتاب ألفه ياسون القيراني أو الكريني كما يقال في اليونانية، أي المنسوب إلى مدينة كريني التي كانت واقعة إلى الغرب من بلاد النيل.

٢- إذا نحينا أسماء اليهوديين واليهوديات المذكورة في أسفار العهد الجديد عن الأسماء العبرانية التي كانت تتخذ من باب التدين أو حب الجنس نحو يوسف ويعقوب وشاول ومتى ومريم وحنة، فالبقية منها هي كلها سريانية مثل توما وبرنابا وبرثلمي وبريشوع وبارابا وقيافا وسيلا (شإيلا) وبرطمي وبرسابا ومرتا وسالومي وشفّيرة وطبيثا. وكذلك أسماء شيَع اليهود الدينية كالفريسيين والصدوقيين، وأي عاقل يصدق أن اليهود مع كونهم يتكلمون باللغة اليونانية أو العبرانية كانوا يتسمون بأسماء سريانية لأن لغتهم كانت السريانية.

ولا ينكر في هذا الصدد وجود أسماء يونانية لأهل فلسطين الأصليين في العهد الجديد، إلا انها كانت قليلة مثل (فيلبس) و(نيقموديمس) و (نقانور) و (اسطفانس)، وأقل منها اللاتينية مثل (مرقس) و (لوقا).

ويمكن تأويل وجود هذه الأسماء الغريبة في أسفار العهد الجديد الذي معظمه يتعلق

بأخبار فلسطين والشام بالقول إن هذه الأسماء الغريبة نقلها كتّاب العهد الجديد أو مـــترجموه اليونانيون من لغة العبرانيين إلى عبارة يونانية كما هي عادة القدماء أن يفعلوا. وكمثال علـــى ذلك[x] أن يوسف المؤرخ اليهودي المار ذكره حين ذكر نسبته في مقدمة قصة حياته سمـــى أبـــا جده شمعون بْسَلس بلفظة يونانية. والواضح أنه لا يمكن أن يكون اسم أبي جده يونانياً لأنـــه كان اسمه بلغة اليهود، أي الآرامية (الألكن) فترجمه المؤلف بلفظة (بْسَلس) اليونانية المذكـــورة التي لها هذا المعنى، وكذلك مسماه كان بالتأكيد غير يوناني فكان اسمه عبرانيـــاً أو ســـريانياً، فترجمهُ كاتب الإنجيل باليونانية، والبرهان على ذلك واضح لا ريب فيه، وهو أن اندراوس كان أخا شمعون الصفا. ونحن نعلم أن أبا شمعون الصفا لم يكن يونانياً لأن اسمه كان سريانياً وهـــو يونا أي حمامة، طالع متى ١٦: ١٧ ويوحنا ٢١: ١٥ و ١٦ و ١٧.

ولنا مثال آخر جليل في اسم بولس الرسول، فإن هذا الاسم هو لاتيني بلا شك، وأمـــا المسمى به فكان اسمه أولاً شاول وهو اسم عبراني، والشخص كان بالتأكيد من الجنس العـــبراني لأنه كان من سبط بنيامين كما يشهد هو عن نفسه في رسالته إلى أهل فيلبى ٢: ٥، فلما تنصر سمّوه باسم جديد في مدينة دمشق التي فيها حدث تنصره وهو بولس.

ولا شك أن هذا الاسم وضع أولاً بالسريانية، لأن أهـــل دمشـــق كـــانوا يتكلمـــون بالسريانية، ثم إذ كان هذا الرسول يفتخر بكونه موسوماً بالمدنية الرومانية تُرجم ذلك الاســـم بلغة الرومانيين وهكذا غلب عليه اسم بولس اللاتيني.

ومثل ذلك اسم شمعون الرسول أخي اندراوس، فإن المسيح سماه كيفا بلا شك (طـــالع يوحنا ١: ٤٢) وهذا الاسم هو سرياني بلا شك ولا ريب. فلابد من ان التلاميذ امتثالا لأمـــر المسيح صاروا يسمونه كيفا. وكذلك نجـــده في قورنثيـــة ١:١٢و ٣:٢٢ و ٩: ٥ و ١٥: ٥ وغلاطية ١: ١٨ و ٢: ٧ و ٨ و ٩ و ١١ و ١٤ وإذ لا يصدق أن هذا الرسول سموه بـــاسمين

---

[x] المطران يوسف داود: اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية طبع في دير الاباء الدومنكيين – الموصل ١٨٩٨ ص٢٦ و٢٧ ويعتبر ما كتبه المؤلف من أوثق ما قيل في لغة المسيح السريانية، وكل المصادر التي تناولت هـــذا الموضوع لاحقاً تشير إلى هذين المرجعين، وقد أكثرنا من الاستشهاد بالمؤلف في هذا الفصـــل لغنى معلوماته.

جديدين فالواجب أن نقول إن اسم بطرس الذي تجده في العهد الجديد ليس هو الاسم الـــذي كان يسمى به هذا الرسول لكن هو ترجمة يونانية لاسم كيفا وضعها الكتاب اليونانيون.

وعندنا مثال واضح لذلك في عادة أهل زماننا في بلادنا حيث يعبّرون عن الأسماء الغريبة بترجمتها إلى العربية نحو قولهم ابن العبري ابن الحجري، وكقولهم الجسريّ، الحجريّ، منصـور، سعيد، وردة، فم الذهب بدل كلماتها اليونانية أو اللاتينية. إذاً وجود أسماء يونانية في صحـف العهد الجديد ليس دليلاً على أن أهل فلسطين كانوا يونانيين أو كانوا يتكلمون باليونانية .

إننا نجد في أسفار العهد الجديد أسماء لاتينية لأشخاص عبرانيين بلا شك، وذلـك إمـا لأنهم كانت لهم مداخلة مع أرباب الحكومة الذين كانوا يتكلمون باللاتينية وإما لأنهم كانوا من اليهود المستوطنين في رومية أو غيرها من إيطاليا أو أفريقيا. ومثال ذلك يوسف برسابا الـــذي اسمه هذا، أي (ابن الشيخ) يدل على أنه كان من قوم يتكلمون بالسريانية، ومع ذلك فكـــان لقبه يُسطس (طالع قصص ١: ٢٣) وهذا اللقب الذي معناه العادل هو لفظة لاتينية، ونـرى في قصص ١٣: ١ شخصاً آخر وهو سمعان العبراني يسمى باسم لاتيني نيجر أي الأســود. ومـع وجود هذه الأسماء اللاتينية في الأمة العبرانية لم يستنتج أحد إلى الآن أن العبرانيين في فلســطين كانوا يتكلمون باللاتينية، فكذلك من وجود الأسماء اليونانية فيهم لا يصح أن يســتنتج أنهـم كانوا يتكلمون باليونانية.

ويمكن القول إن الذين كانوا يتكلمون باليونانية يقرون أن هذا الرسول شمعـون كـان يسمى أيضاً بطرس بدل كيفا، فإن بولس الرسول الذي مراراً كثيرة يسميه كيفا يدعوه أيضـاً بطرس أحيانا، في غلا ٢: ٧ و ٨ مثلاً، وهو قد كتب باليونانية. ولكن على كل الأحوال يثبت ما قلناه وهو ان اسم بطرس هو ترجمة كيفا السريانية وأن الأقدمين كان لهم عادة أن يـترجموا الأسماء باللغة التي يتكلمون بها.

٣- إن أسماء الأماكن المشاعة في أورشليم كانت سريانية في زمان المســيح، ويشـهد لذلك شهادة قاطعة كل ريب العهد الجديد نفسه نحو شيلوحا (يوحنا ٩: ١١) جلجلة (يوحنـا ١٩: ١٧) غباثة (يوحنا ١٩: ٣) جسمانية (متى ٢٦: ٣٦) بيت حسدا (يوحنا ٥: ٢) بيـت عينا (يوحنا ١٢: ١) بيت فاجي (متى ٢١: ١) هذه كلها أسماء سريانية بلا شك ولا مـــراء.

وأشهر من كل ذلك الاسم الذي وضعه رؤساء اليهود للكورة التي اشتروها بالفضة التي ردها يهوذا الاسخريوطي، وهو حقلدما (قصص ١: ١٩). وأي عاقل يقبل أن أهل أورشليم الذين كانوا يسمون أماكن مدينتهم بأسماء سريانية كانوا يتكلمون بلغة أخرى.

٤- ورد في قصص الرسل (٢١: ٤) أن بولس الرسول ألقى خطبة بأورشليم بالعبرانية، أي بلغة العبرانيين حينئذٍ وهي السريانية كما ذكرنا سابقاً. وكان حاضراً في هذه الخطبة جمهور غفير من أهل أورشليم من الخاصة والعامة، وهم يشكون بولس أمام الأمير، فشرع بولس يخطبهم باللغة المذكورة ليحامي عن نفسه ويبرئها.

ويرى المؤرخ المقدس أنهم حين سمعوه يتكلم بتلك اللغة ازدادوا إصغاء إليه (وذلك لأنه ولو أن بولس كان يهودياً جنسا لكن كان مولوداً في مدينة طرسوس التي كان أهلها يتكلمون باليونانية ولذلك فيهود أورشليم ارتاحوا بأنه كان يحسن التكلم بلغتهم مع كونه قد نشأ في بلدة يونانية) وأنهم فهموا كلامه جيداً حتى أنهم لشدة قوة كلامه ثاروا عليه في الآخر غضباً. فهل يمكن أن يكون دليل واضح وقاطع على أن لغة أهل أورشليم في ذلك الزمان لم تكن اليونانية.

ويؤكد هذا البرهان المطران داود مما ورد في كتاب قصص الرسل المذكور ٢١: ٣٧ وهو أن الأمير سأل بولس الرسول قائلاً أتحسن اليونانية. فلو أن اللسان العام لليهود في أورشليم كان اليوناني في ذلك الزمان لكان السؤال ضرباً من الحماقة مثل حماقة من يسأل اليوم رجلاً دمشقياً أتعرف العربية. وفي جواب بولس تأكيد أكثر للحقيقة، لأنه لم يكن جوابه بقوله أنا يهودي مجرداً، لأنه لو أجاب كذلك لكان الجواب إثبات لزعم خصمنا، إذ يكون المعنى أنا يهودي، والمعلوم أن لسان اليهود هو اللغة اليونانية. لكن أجاب قائلاً: أنا يهودي طرسوسي من مدينة معروفة من قليقية (كليكيا)، كأنه يقول إني ولو كنت يهودياً فإني من مدينة أنت تعلم أن أهلها يتكلمون باليونانية، ولإثبات ذلك أكثر ما يكون نورد شهادة كتاب قصص الرسل ٩: ٢٩ نفسه حيث يقال إن بولس إذا كان في أورشليم بعد استنارته (كان يخاطب المتكلمين باليونانية) أي اليهود الذين لغتهم كانت يونانية وقد أتوا من آسيا الصغرى أو من بعض نواحي أفريقية (راجع مرتيني في هذا الصدد). ومن ذلك يتضح اتضاحا لا مزيد عليه أن

اللسان اليوناني لم يكن اللسان المتغلب في أورشليم بل كان يخص بعض السكان .

٥- يذكر علماء اليهود، حتى الذين عاشوا في زمان المسيح وما بعده، في كتبهم الفرق النحوي واللغوي اللذين كانا في اللهجة باللغة السريانية بين الجليليين وبين سائر أهل فلسطين ولا سيما أورشليم، والإنجيل نفسه يشهد بوجود هذا الفرق بين لغة الجليليين ولغة سائر الفلسطينيين في زمان المسيح. فقد ورد في بشارة مرقس ١٤: ٧ أنه في أيام آلام المسيح لما كان بطرس الرسول في دار رئيس الكهنة عرفه الحاضرون أنه جليلي وذلك من كلامه (متى ٢٦: ٧٣).

٦- تتجلى أقوى البينات لإثبات ما نقوله في شهادة الإنجيل المقدس حيث يورد أحياناً بالحرف اللاتيني الكلمات التي خرجت من فم يسوع الأقدس بلفظها الأصلي عينه، وهي كلها سريانية لا عبرانية، حيث أنه حين أراد يسوع أن يسمي شمعون الرسول بالصخرة سماه (كيفا) (يوحنا ١: ٤٢) و لم يقل بالعبرانية ولا باليونانية (ولو أن كتّاب العهد الجديد لما كتبوا باليونانية عبّروا عن اسمه هذا السرياني بلفظة بطرس اليونانية). وكذلك سمى يسوع ابْنَي زبدي باسم سرياني (مرقس ٣: ١٧). ولما أحيا الصبية قال لها بالسريانية (مرقس ٥: ٤١). وصاح بالسريانية وهو معلق على الصليب (متى ٢٧: ٤٦) . ولما أحيا بطرس الرسول الفتاة في يافا قال لها في السريانية (قصص ٩: ٤٠). ولذلك فلما أراد بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل قورنش التي كتبها باليونانية أن يأتي بعبارة معنوية سرية باللغة المألوفة حينئذٍ عند العبرانيين قال (١٦: ٢٢) بالسريانية (مَارَن أثا) أي ربنا أتى بلفظ السريان الشرقيين، و لم يقل بالعبرانية أذوننوبا.

٧- إن اللغة السريانية بقيت دارجة في فلسطين أيضاً بعد استيلاء العرب عليها بأجيال حتى أنه حين دخل طقس البيعة القسطنطينية في البيعة الفلسطينية في نحو القرن الثامن أو التاسع استخرجت كتب ذلك الطقس حتى أجزاء الكتاب المقدس إلى اللغة السريانية الدارجة في تلك البلاد لاستعمال تلك البيعة، لأن البيَع الشرقية كان من عادتها أن تستعمل الطقس في كل بلد باللغة الدارجة فيه. وهكذا صار الطقس اليوناني مستعملاً في فلسطين باللغة السريانية أجيالاً حتى بعد انقراض اللغة السريانية فيها وأخذ العربية مكانها.

هكذا بيّن المطران يوسف داود بحججه الدامغة أن لغة المسيح كانت السريانية وليست اليونانية، فالأولى كانت لغة الشعب الدارجة في فلسطين، والمسيح كان من عامة هذا الشعب.

ومما يؤيد ما ذكرناه أنه يرد في المأثورات الإسلامية أن إنجيل النصارى لم يكن مكتوباً باليونانية ولكن (بالعبرانية)، وهذا المصطلح العربي كان يدل في ذلك الوقت على العبرية كما على الآرامية، لأن هاتين اللغتين كانتا تكتبان بالحروف ذاتها[x] .

ونحن إذا قابلنا اللغة السريانية بالعبرانية، التي كتبت في العهد القديم نرى أن اللغة السريانية، قد حازت قصب السبق عليها، فإن أجلّ العلماء المحققين في أوربا ذهبوا إلى أن العبرانيين كانت لغتهم في الأول هي السريانية إذ جاءوا من بلاد السريان وجدّهم هو إبراهيم أبو الأسباط الذي كان أرامياً، أي سريانياً مولداً ووطناً، ثم لما استقروا في أرض الميعاد أي كيفان تغيرت لغتهم باختلاطهم بأقوام تلك البلاد. ولما انتشرت اللغة السريانية منذ الأزمان القديمة واشتهرت بين الأمم المختلفة المجاورة للأمة السريانية دخل من هذه اللغة كثير من الألفاظ والعبارات والصيغ في اللغة العبرانية كما يشهد كتاب العهد القديم المكتوب بهذه اللغة. مثلما دخل منها أي من اللغة السريانية في اللغة (الفينيقية) كما تشهد كتاباتها الحجرية وفي اللغة الفارسية القديمة وغيرها الكثير.

إن الكثير من المؤرخين بتجاهلهم للغة المحلية في فلسطين إبان حقبة ميلاد المسيحية جعلوا من اليونانية لغة المسيح، وهنا نقطة يجب توضيحها، فمنذ أتى اليونانيون إلى سورية قبل المسيحية بغزواتهم وحروبهم، بقي اللسان اليوناني متداولاً عند البعض، كما كان الشأن للبنانيين بعد جلاء الفرنسيين عن بلادهم، فقد كانوا يستعملون اللغة الفرنسية مع أن لغتهم العربية، كذلك الشأن كان بين اليونانية والسريانية حين أتى المسيح، فقد كان اللسان اليوناني اللغة الجنسية لكثير من الغرباء القاطنين في بلاد الشام وكان لغة الحكام في عهد الدولة السلوقية.

---

[x] الحسن بن طلال: المسيحية في العالم العربي المعهد الملكي للدراسات الدينية - عمان ١٩٩٥ ص ٢٥ و ٢٦

مرجع سابق.

وحين أراد بيلاطس والي اليهودية أن يجعل لوحاً مكتوباً على صليب المسيح لم يكتب اللوح فقط بلغة العبرانيين، أي السريانية التي كانت لغة أهل أورشليم باللغة اللاتينية التي كانت لغة الحكام في زمان المسيح بل كتب أيضاً باليونانية ليقرأه الغرباء الذين كانوا كثيرين. وأما أهل البلد الأصليون فلم يكن لهم اختلاط باللسان اليوناني إلا قليلين منهم كانت أشغال التجارة وما أشبه ذلك تلزمهم أن يعرفوا لغات غريبة.

وإذا أردنا الواقع فإن اليهود في فلسطين كانوا غريبين عن اللغة اليونانية جداً حتى أنه كان محروماً عليهم، وخاصة الرجال، أن يتعلموها في المدارس. وأما النساء فكان جائزاً أن يؤدبن باليونانية من باب التزين الجائز للنساء.

إن الكثير من المؤرخين سيحاججون في أن الأناجيل وسائر أسفار وكتب العهد الجديد المزورة وسائر ما كتب عن مبادئ الدين المسيحي كانت باللغة اليونانية، سوى الشيء الزهيد، وهذا صحيح ولكنه لا يضعف صحة الحقيقة التي بيناها بالبراهين العديدة.

ويرى يوسف داود في ذلك (أن النحس الذي تتبّع اللغة الآرامية الفلسطينية جزئياً قبل النصرانية تعقبها كلياً بعد النصرانية، فقد فُقد من الكتب المسطورة بتلك اللغة قبل النصرانية قصة طوبيا وكتاب يشوع بن سيراخ وسفر يهوديث وتتمة أستير وقصة سوسنّة وسفر المقابيّين الأول وباروخ وتواريخ يوسف الأصفر المؤرخ المشهور إلى غير ذلك مما يعسر إحصاؤه. فلا عجب أن الزمان الذي أباد بعض الآثار الأرامية الفلسطينية قبل المسيح أبادها كلها بعد المسيح مع ما نعلمه من النوائب الغريبة التي حلت بتلك البلاد سوى الشيء الطفيف الذي سنذكره، من ذلك أننا لا نعلم أصلاً كيف كان حال الأدب والعلم في فلسطين عند اليهود من بعد تنصرهم وكيف كان يختلف عن حاله عندهم قبل أن تنصروا، وعند اليهود الذين لم ينتصروا وبأي نوع من القلم كانوا يكتبون، وفي أي زمان بطلوا تماماً أن يتكلموا بلغتهم السريانية، وفي أي قرن من القرون صار قلمهم شبيهاً بالقلم السطرنجيلي الذي يشاهد في كتبهم القليلة المحفوظة إلى اليوم المحفوظة في القرن الحادي عشر وما بعده ... كل هذه المسائل وأمثالها هي مشكلات تبقى قائمة)[x].

---

[x] المطران يوسف داود: كتاب القصارى   مرجع سابق ص١٣

إذا كان ما حدث للوثائق الآرامية أعتبر (نحسا) كما سماه يوسف داود، فإن الكثير من هذه الأدبيات لا زال مخفياً، وما عرف غيرها كان مؤلفاً باللسان السرياني المختص باليهود الذي يقال له الكلداني والفلسطيني ومخطوطة بالقلم السرياني المختص بذلك القوم وهو مأخوذ من القلم السطرنجيلي الذي هو أم كل الخطوط السريانية المعروفة والمستعملة اليوم ومنه نشأ الخط العربي.

ومن هذه الكتب اليهودية النصرانية نستنتج عدة أمور منها:

١- إن اللغة السريانية التي كانت دارجة في أورشليم وسائر فلسطين في زمان المسيح بقيت قائمة بها بعد المسيح في عهد النصرانية مدة أكثر من سبعة قرون، لأنه لا يحتمل أن تلك الكتب الطقسية عملت قبل القرن الثامن، إذ لو لم تكن تلك اللغة مستعملة لما كتبت فيها تلك الكتب التي كانت لأجل استعمال البيعة.

٢- إن تلك اللغة كان لها كتابة وأدب في النصرانية مثلما كان لها قبل النصرانية ومثلما كان لها بعد ظهور النصرانية خارجاً عنها.

٣- لم يشارك أهل فلسطين سواء اليهود أو المسيحيين سريان الجزيرة السورية وبقية البلاد السريانية في تقلبات اللسان السرياني.

٤- كان كل فريق من اليهود والمسيحيين في فلسطين حين استعماله اللغة السريانية اليهودية يسلك منهاجاً لنفسه بمعزل عن الفريق الآخر، فالخط عند المسيحيين - مثلاً - كان مختلفاً عما كان لدى اليهود ... على الأقل في القرون المتأخرة.

٥- لم يستعمل المسيحيون الذين في فلسطين الترجمة السريانية للكتاب المقدس التي يقال لها (البسيطة) كما كان يستعملها بقية المسيحيين السريان حتى الملكيون، ذلك أن أسفار الكتاب المقدس في الكتب الفلسطينية التي نتكلم عنها قد سحبت كلها من اليوناني رأسا حتى سفر المزامير، ولو أن قوماً من العلماء يذهبون إلى أن المترجم وضع أمام عينيه الترجمة البسيطة المذكورة.

٦- كانت اللغة السريانية الفلسطينية مستعملة في كنائس الملة الملكية بفلسطين حتى بعد انقراض هذه اللغة من أفواه العامة وأخذ العربية مكانها، لأن (رُبريكات) الكتب

الطقسية المذكورة، أي حواشيها هي مكتوبة بالعربية.

مما ذكرناه يمكننا القول إن اللغة اليونانية لم تكن في زمان المسيح هي اللغة الدارجة في أورشليم أو المسيطرة فيها، عدا أن دين المسيح نشأ خارجاً عن الدائرة اليونانية وأن مبادئ البيعة النصرانية لم تكن يونانية أصلاً، ذلك أن منشئها لم يكن يونانياً لا وطناً ولا جنساً ولا لغة، بل لم يكن أحد من أتباعه الأولين يونانياً، أو أحد من رسله والمنذرين بدعوته يونانياً (راجع قصص ٢: ١٤ و ٤ و ١٠: ٤٥ و١١:١). أما اللغة الاصطلاحية المستعملة في البيعة المسيحية فلم يدخلها كلمة يونانية في أصل وصفها، وإن وجد اليوم في هذه اللغة ألفاظ يونانية فهي زهيدة طفيفة جداً.

إن الأساقفة الذين ولوا كراسي أورشليم وسائر فلسطين منذ بادئ البيعة كان الكثير منهم من اليونانيين، ولكن هذا لا يحدونا إلى القول إن أهل فلسطين كانوا يتكلمون باليونانية قاطبة، وخاصة أن أورشليم كان بها أساقفة يونانيين كثر، على ما يذكر (اوسابيوس) المؤرخ المشهور في الفصل السادس من الباب الرابع من تواريخه البيعية من أن أساقفة أورشليم كانوا في البدء من الجنس العبراني، وهكذا قام على ذلك الكرسي خمسة عشر أسقفاً كلهم عبرانيون من بعد المسيح إلى عهد (أدريانوس) قيصر الملك الذي جلس سنة ١٧١ حيث أخرج هذا الملك جميع العبرانيين من أيّة ملة كانوا لسبب الفتن التي يثيرها اليهود، وأمر أمراً شديداً بأن لا يدخل أحد منهم إليها.

إنه لا يوجد اليوم في كل سورية ومصر أدنى قرية أو جماعة من الناس تتكلم باللغة اليونانية. فإذا كان الأمر كذلك فهذا يؤيد ما ذهبنا إليه منذ البداية من أن مسيحي سورية لا يتكلمون اليونانية مع أنها موجودة في الكنيسة الأرثوذكسية ويديرها بطريرك يوناني.

ومما سهل امتزاج اللغة اليونانية بالسريانية ورغبة السريان في توسيع نطاق لغتهم بها مع كون اللغة السريانية ليست بفقيرة:

١- سلاستها وحلاوة لفظها وحسن تركيبها وسهولة نهجها المضروب بها المثل، حتى أن العلماء يفضلونها من هذا القبيل على سائر ألسنة العالم.

٢- عدم وجود حرف في حروف اللغة اليونانية ليس له وجود في السريانية إلا في بعض الحركات.

ونخلص من القول أن للغة السريانية خلال عظيمة تتزين بها وتتشرف على غيرها. من ذلك أنه بها نزل جانب من الكتاب المقدس من الله سبحانه على قلوب أوليائه، ذلك أن أكثر نبوة دانيال وجزء من سفر عزرا وسفر نحميا وغير ذلك من العهد القديم مكتوبة في الأصل باللغة السريانية. ويمكن الاعتقاد أيضاً أن إنجيل متى وغيره من أسفار العهد الجديد كتبت في الأصل بهذه اللغة●.

كما أن ربنا المسيح وأمه المغبوطة مريم العذراء ورسله الأطهار كان لسانهم الأهلي اللغة السريانية، لأنه من المعلوم أن اليهود في زمان المسيح لم يكونوا يتكلمون باللغة العبرانية لغة أجدادهم بل بالسريانية، وقد تعلموها في بابل حيث سباهم إلى هناك بختنصر ملك بابل وحفظوها بعد رجوعهم إلى أرضهم. والعلماء العبرانيون أنفسهم وهم المعروفون بالربانيين يسمون لغة اليهود منذ ذلك الزمان آرامية أو سريانية وربما سموها آثورية. وإن كانت هذه اللغة السريانية المستعملة عند اليهود في ذلك الزمان تسمى في العهد الجديد عبرانية فذلك لأن العبرانيين كانوا يستعملونها ، لا لأنها كانت في نفسها عبرانية، كما إذا سمى الواحد اللغة العربية مصرية مثلاً لأن أهل مصر يستعملونها لا لأنها في نفسها لغة مصرية. وبهذه اللغة تكلمت سيدتنا مريم وربنا يسوع والحواريون لأنها كانت لغة أرضهم وجنسهم. كما أن هذه اللغة - السريانية- التي تعلمها اليهود من بابل بقوا عليها محافظين أحقاباً حتى أنهم منذ أزمان ظهور المسيح وبعد ذلك ترجموا العهد القديم من العبرانية إلى لغتهم هذه الجديدة السريانية وصاروا يقرأون هذه الترجمات الجديدة في كنائسهم، وهم في مدارسهم يدرسون إلى اليوم أولادهم جميعاً اللغة السريانية مثلما يدرسونهم اللغة العبرانية.

ومما تفاخر به السريانية هي أنها من جملة اللغات الطقسية القديمة المشرّفة في كنيسة المسيح، فقد كانت هذه اللغة هي الأولى في استعمال الكنيسة إياها في القداس وسائر الأمور الدينية قبل أن تستعمل اليونانية لذلك استعمالاً مشهوراً، لأن أول بيعة أقامها الرسل بعد

● يوجد في دير سانت كاترين في سيناء مجموعة من الكتب النفيسة منها (الإنجيل السرياني) المعروف باسم (بالمسست) وهي نسخة خطية غير تامة من الإنجيل باللغة السريانية مكتوبة على ورق غزال وتعد أقدم نسخة موجودة من الإنجيل باللغة السريانية وهي مترجمة من أصل يوناني في القرن الثاني للمسيح.
نقلاً عن مجلة روز اليوسف – القاهرة ٢ / ١١/ ١٩٩٨ ص٤٣

صعود المسيح كانت في أورشليم كما هو ظاهر ولا شك فيه. ولغة عامة أهل أورشليم - كما مر معنا القول - كانت في ذلك الزمان، السريانية ولو مختلفة قليلاً عن السريانية الحالية. وإلى الآن السريانية هي اللغة الطقسية لكثير من مسيحي بلاد الشرق: السريان الأرثوذكس والكاثوليك والموارنة والكلدان والآشوريين.

إن السريانية هي من جملة لغات ملافنة الكنيسة مع اليونانية واللاتينية وبعدهما، فإن ملافنة الكنيسة كلهم حيثما وجدوا وفي أي عصر كانوا لم يكتبوا إلا بإحدى هذه اللغات الثلاث، أي إما باليونانية أو باللاتينية أو بالسريانية، وتشرفت اللغة السريانية بكثرة الكتب الثمينة النفيسة التي ألفت فيها والتي تهم أكثر العلوم وأشرفها ولا سيما علم التواريخ وعلم اللاهوت وعلم الكتاب المقدس.

كما بشر باللغة السريانية الرسل الأطهار رسالة الرب ونقلوها إلى الشعوب الأخرى في أقاصي العالم. وصلاة (أبانا الذي في السموات ...) التي علّم المسيح بها تلاميذه الصلاة التي يتلوها اليوم كل مسيحيي العالم كانت بهذه اللغة. وهناك المئات من الكلمات والمصطلحات بقيت بأصولها السريانية متداولة في الأناجيل الأربعة من دون ترجمة، أو في أحوال أخرى تم ترجمتها إلى معان خاطئة، إما بسبب عدم وجود ما يقابلها في اللغات الأخرى وبالمعنى المحدود المقصود بها في أصلها السرياني، مثل مصطلح (أقدوم) والذي سبب ذلك الكثير من النقاش والجدل وما صاحب ذلك من اختلاف التفاسير في الطبيعة الألوهية للمسيح، أو بسبب الارتباك والتداخل في فهم هذه المصطلحات الآرامية - السريانية وإعطائها معاني مختلفة مثل كلمة (كملا) - بفتح الكاف - والتي تعني حبل السفن الغليظ، وهو الذي قصده الرسول متى من المثال الخاص بدخول الغني ملكوت السموات باعتبار هذا الحبل أصلح وأكثر منطقياً من حيث حجمه وغلظته في مقارنته مع الخيط، في حين فهمت (كملا) بضم الكاف، والتي تعني حيوان الجمل حينما ترجم هذا الاصحاح إلى اللغات الأخرى بصيغة (أنه لأسهل أن يدخل الجمل في ثقب إبرة من أن يدخل الغني ملكوت الله) متى ١٩: ٢٤.

هذا مثال من مئات الأمثلة التي يطول الحديث عنها وهي تعبّر عن عمق وأصالة اللغة السريانية وسعة معانيها ومضامينها المتعددة والواسعة. وعندما حمل الرسل لواء الإنجيل للتبشير بها آمنت شعوب هذه المنطقة بها إيماناً عميقاً ومباشرة ومن دون مقاومة، كما فعلت بقية

الشعوب التي لم تكن تتكلم بها، لأنها كانت رسالة منقولة بلغتهم وسهلة في فهم وإدراك مغزاها الروحي والإنساني، فقامت كل الكنائس المسيحية إلى مرحلة ليست ببعيدة ببناء لاهوتها وتفسيراتها وطقوسها ومراسيمها بهذه اللغة لأنها كانت لغة المسيح والشعب أيضاً.

إن المجد الذي قدسه وباركه المسيح عندما علّم تلاميذه كيف يصلون ويعلمون الناس رسالة الرب بها جعله لم يتخل عنها حتى في أنفاسه الأخيرة وهو على الصليب يتعذب ويخاطب رب العالمين.

لقد أخذ اسم السرياني، منذ عهد المسيح، يزداد شيوعاً ويحل محل الارامي لأن الكرازة الإنجيلية انتشرت أولا في البلاد الآرامية السريانية، على يد الرسل الذين كانوا جميعاً من سوريا فلسطين، حتى أن الأجداد الأولين المتنصرين كانوا شديدي التمسك بالدين المسيحي الحق، فقد أحبوا أن يسموا باسم مبشريهم، اسم السريان، الذي لم يكن غريباً عنهم، ويتركوا اسم آرام لبني جنسهم الوثنيين، حتى جاءت الترجمة السريانية للكتاب المقدس المشهورة بعنوان (صورة الكتاب) التي يرتقي عهد كتابتها إلى الجيل الثاني والتي أطلق عليها بعد القرن الثامن لفظ (البسيطة). فهذه الترجمة جعلت لفظ آرامي عاماً شاملاً جميع الأمم غير اليهودية، كما أصبحت لفظة الآرامي مرادفة للفظ الصابئ والوثني، ولفظة (السرياني) مرادفة للفظة المسيحي والنصراني إلى اليوم.

ويقول عبد القاهر البغدادي، كبير متكلمي الأشاعرة في النصف الأول من القرن الخامس هجري، في فصل عقده تحت عنوان (في بيان وجوه كلام الله): (قراءة كلامه بالعربية قرآن، وقراءته بالعبرانية توراة، وبالسريانية انجيل. والقراءة غير المقروء، لأن المقروء كلام الله وليست القراءة كلامه، ولأن القراءات سبع والمقروء واحد، ويقال قراءة أبي عمرو وقراءة عاصم، ولا يقال قرآن أبي عمرو وغيره. ونقول: كلام الله في المصحف مكتوب، وفي القلب محفوظ، وباللسان متلو، ولا نقول: إنه في المصاحف مطلقاً، ولا نقول على الإطلاق إن كلام الله سبحانه في محل، ولكن نقول على التقييد إنه مكتوب في المصاحف) [x].

---

[x] عبد القاهر البغدادي: أصول الدين عن طبعة مدرسة الالهيات بدار الفنون باستانبول ١٩٢٨ دار الكتب العلمية المصورة - بيروت ١٩٨١ ص ١٠٨

ومن الشهادة أعلاه نرى أن المسلمين ذاتهم كانوا يعطون السريانية السبق في لغة المسيح وفي أنجيله، وهو ما نلمسه في الكثير من المراجع.

لقد طغت اللغة الآرامية السريانية على الممالك القريبة منها فأصبحت اللغة الرسمية في مملكتي أثور وبابل واضمحلت أمامها لغتهما الأكادية الأصلية، ووصل بحرها الطامي إلى الجبال الفارسية فأرواها. وقد جاء في كتاب عزرا (٣: ٧) ما مفاده أن سكان السامره قدموا إلى ارتحششت ملك الفرس عريضة يشتكون فيها على اليهود وكانت بالآراميه. وأمام سبي بابل بعد قرون قليلة، ترك اليهود لهجتهم العبرية، وتعلموا لغة أسيادهم الدارجة .... السريانية، وتمضي عليهم سبعون سنة، وإذا هم يعودون إلى موطنهم حاملين معهم لغتهم السريانية المكتسبة التي أصبحت اللغة العامية في فلسطين (عزرا ٧: ١) بعد الجلاء البابلي، أي منذ القرن السادس قبل التاريخ المسيحي.

ووصلت السريانية إلى أعلى مراتبها في الأجيال السابقة للمسيح، واستقت مصر الكثير من الحضارة السريانية جارتها، والشيء الأكثر من تربتها الفريدة بالغنى، وموقعها الجغرافي الخطير، حتى أصبحت يوماً ذات قول وحول.



المسيحية وتعدد الطوائف

هل انشقاق المسيحية إلى طوائف كان نكسة لها أم تجديد لمفاهيمها؟

وهل الحروب التي قامت بين هذه الطوائف أفقد أفرادها إيمانهم المسيحي وجعلتهم يتجهون إلى العلمنة !!

إن الأسئلة من هذا القبيل كثيرة ويهمنا هنا ونحن نتناول العنوان الذي اتخذناه لكتابنا إعطاء فكرة ولو موجزة عن كل طائفة وجدت، أو أوجدت في سوريا، باستثناء مصر والأقباط هناك حيث ذكرناهم في سياق (الطوائف الشرقية).

لقد ظهرت الانقسامات في المسيحية على عدة مراحل، على أن القرون الأربعة الأولى شهدت على أن الكنائس المسيحية الأربع: الانطاكية، السريانية والرومانية اللاتينية والإسكندرية القبطية والقسطنطينية البيزنطية كانت تسودها جميعاً علاقات ودية أخوية وإيمان واحد هو إيمان الكنيسة الجامعة رغم ظهور تعاليم غريبة عن حق الانجيل من قبل بعض المبتدعين أمثال سيمون الساحر، قيرنثوس، قيردون، مرقيون، هوموجينس، برديصان، ططيانس، ماني، أريوس، مقدونيوس ، أونوميوس. وقد تصدى لهؤلاء الرسل الآباء الرسوليون وأحبار كنائس انطاكيا والإسكندرية وروما، ونبذوهم وأظهروا فساد تعليمهم، فخمدت تعاليمهم، وضعف أثرهم وأخمد.

وشهد أوائل القرن الخامس، ظهور نسطور، بطريرك القسطنطينية، وطلع بتعليم جديد مغاير لعقيدة الكنيسة الجامعة مفاده (أن في المسيح طبيعتين، وأقنومين، ولذلك فهو مسيحان أحدهما ابن الله، والآخر ابن الإنسان، وأن مريم لم تلد إلها متجسداً بل إنساناً محضاً هو يسوع المسيح، ثم حل فيه كلمة الله). ولاقى تعليم نسطور هذا قبولاً لدى بعض السريان في المناطق الخاضعة للاحتلال الفارسي، وفي بعض أجزاء سوريا وفلسطين وقبرص فانفصلوا عن الكنيسة السريانية الانطاكية واستحدثوا لهم مركز رئاسة خاصة في المدائن، ثم نقل إلى بغداد عام ٧٦٢.

وإلى عهد قريب كانت كنيستهم تعرف باسم الكنيسة السريانية المشرقية أو السريانية النسطورية، ولكنهم بدلوا اسمهم هذا في مطلع القرن الحالي وأصبحوا يعرفون اليوم بالكنيسة الآشورية، ومنهم تفرع الكلدان الكاثوليك سنة ١٥٥٢ وسميت بطريركيتهم ببطريركية بابل عام ١٧١٣، كما تسمى الكنيسة الآشورية - الكلدانية الكاثوليكية.

ويعتبر عام ٤٥١ عام انقسام الكنائس المسيحية الأربع الكبرى إلى مجموعتين، على أثر إنتهاء أعمال المجمع الخلقيدوني في ذاك العام، وضمت المجموعة الأولى الكنيسة السريانية الانطاكية القبطية، وتقول بالطبيعة الواحدة للمسيح بعد الاتحاد، وهم اللا خلقيدونيون، والثانية تضم الكنيسة الرومانية اللاتينية والرومانية البيزنطية وتقول بالطبيعتين للمسيح بعد الاتحاد.

وقد انفصلت مجموعة من السريان الانطاكيين عن الكنيسة الأم وانضمت إلى الروم الخلقيدونيين، فأطلق عليهم في النصف الثاني من القرن الخامس أخوانهم السريان الأرثوذكس بلغتهم السريانية اسم الملكيين (باسكان اللام) وذلك لأنهم تركوا إيمان الآباء والأجداد السريان وقالوا بمقاله مرقيان ملك الروم. كما سموهم أيضاً روماً، نسبة إلى الدولة الرومانية التي كانت تدين بالعقيدة الخلقيدونية، كما سموهم أيضاً يونانيين نسبة إلى سكان القسطنطينية عاصمة الدولة التي كان أهلها يتكلمون باللغة اليونانية، غير أن تسمية (الملكية) عم استعمالها، ويسمون اليوم الروم الأرثوذكس، وعنهم تفرع السريان الموارنة في القرن السابع أثر خلاف حول المشيئة الواحدة والمشيئتين، وبقيت الكنيسة المارونية مستقلة، حتى القرن الثاني عشر حيث انضمت إلى روما وأصبحت تسمي بطريركها (ببطريرك انطاكية) وعن الروم الأرثوذكس تفرع الروم الكاثوليك عام ١٧٢٤.

وحدث انشقاق في الكنيسة السريانية الانطاكية الأرثوذكسية فانفصل عنها السريان الكاثوليك في أواسط القرن السابع عشر، وبهذا تصبح الكنيسة السريانية اليوم تشمل سبع كنائس هي:

١- الكنيسة السريانية الأرثوذكسية الأم

٢- الكنيسة السريانية الشرقية (النسطورية أو الآشورية حسب التسمية الحديثة)

٣- الكنيسة السريانية الكلدانية (الآشورية - الكلدانية الكاثوليكية بحسب التسمية الحديثة).

٤- الكنيسة السريانية المارونية.

٥- الكنيسة السريانية الكاثوليكية.

٦- الروم الأرثوذكس (السريان الملكيون)

٧- الروم الكاثوليك (السريان الملكيون الكاثوليك).

وكان الطقس الكنسي في جميع هذه الكنائس في الأصل واحد وهو طقس كنيسة انطاكية السرياني، وكانت اللغة واحدة هي اللغة السريانية. ولا تزال الكنائس الخمس الأولى ملتزمة باللغة السريانية في طقوسها، فالكنيسة السريانية الأرثوذكسية والمارونية والسريانية الكاثوليكية تستعمل طقوسها باللهجة السريانية الغربية الرهاوية، والكنيسة الآشورية والكلدانية تستعملان اللهجة الشرقية، ولا فارق بين اللهجتين سوى اللفظ. أما الكنيستان الباقيتان: الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك فكانوا يمارسون الطقس الانطاكي فترة من الزمن طويلة، وظلت اللغة السريانية معروفة لديهم مستعملة في كنائسهم حتى القرن السابع عشر. بيد أنهم اعتباراً من القرن العاشر استبدلوا طقسهم الإنطاكي بالطقس البيزنطي مترجمة إلى السريانية[x].

أما عدد المسيحيين السوريين (سوريا الطبيعية) فقد سعينا، بقدر الإمكان، أن تكون هذه المعلومات أقرب إلى الواقع، خاصة في أرقام عدد أفرادها، حيث يندر أن تكون الأرقام المنشورة قريبة للواقع، فهي تتبع أهواء من يكتبها ولمصلحة من يوجهها، ولشحة المصادر الموثوقة في ذلك، وعدم ذكرها في المجموعات الإحصائية الحكومية.

على أن الملاحظة الجديرة بالاعتبار هي أن عدد المسيحيين تراجع في استمرار منذ الفتح الإسلامي في القرن السابع، بل انقرضوا في شمال أفريقيا في القرن الثاني عشر، وغدا عددهم أقلية بين مجموع الأديان السماوية (اليهودية — المسيحية — الإسلام) — هذا إذا استثنينا أقباط مصر في ذلك، فلأول مرة على امتداد عدة قرون، يفوق عدد اليهود المقيمين في سوريا الطبيعية عدد المسيحيين.

وعندما احتل العثمانيون بلاد الشام عام ١٥١٦ كان عدد المسيحيين قد تراجع إلى ٧ في

---

[x] الأب جوزيف ترزي: تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية الأرثوذكسية صحيفة بيروت تايمس لوس انجلوس عدد ١٢ - ١٩ نيسان ١٩٩٠ ص٢٢

المئة من مجمل السكان، لكن العهد العثماني شهد نمواً ديموغرافيا في جميع البلدان المحيطة بالبحر المتوسط في شقيها المسلم والمسيحي وكانت درجات النمو في الإمبراطورية العثمانية تختلف من طائفة إلى أخرى، فكان عند المسيحيين ضعفي ما كانت عليه عند المسلمين واليهود. وبعد ٤٠٠ عام من الحكم العثماني وفي عام ١٩١٨ كانت نسبة المسيحيين ٢٠ في المئة من مجمل السكان[x] ●باستثناء مصر حيث استقرت نسبتهم على ما بين ٨ و ١٠ في المئة و لم تتأثر بالمرحلة العثمانية.

وحسب إحصاء أجرى في لبنان عام ١٩٤٤، وهو أقرب إلى الواقع، لأنه لم يخضع لاعتبارات سياسية، وقد قامت به سلطات الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية لأسباب تموينية و لم تقاطعه أيّة طائفة، بلغت نسبة المسيحيين ٥٣ في المئة ونسبة المسلمين ٤٦ في المئة. وهذه النسبة لم تنخفض كثيراً حتى الحرب الأهلية بسبب عودة المسيحيين اللبنانيين من مصر. وفي بداية عام ١٩٧٥ أظهرت إحصاءات وزارة العدل اللبنانية تعادلاً بين المسيحيين والمسلمين. وشكلت هذه الإحصاءات قاعدة لمحادثات الطائف[xxx].

إن المسيحيين السوريين يحتفلون ببدء الألفية الثالثة لميلاد المسيح وهم أشد ثباتاً وإخلاصاً لعقيدتهم ولأوطانهم متمنين أن تسير خطى الوحدة بين طوائفهم سيرها المنطقي في وحدة العقيدة.

وبعد قطيعة استمرت قروناً طويلة جداً من عام ٤٥١ ميلادية حيث انعقاد المجمع الخلقيدوني وحتى القرن العشرين ، وضع حد للعزلة بين الطوائف الأرثوذكسية والكاثوليكية، ونشأت علاقة صداقة جديدة بدءا من العقد السادس من القرن العشرين، ربما تدعم وحدة الكنيسة. كما نشأت علاقات ودية بين الكنائس الأرثوذكسية الشرقية والكنائس البروتستانتية

---

[x] رالف غضبان: في ملحق صحيفة النهار: أوقفوا هجرة مسيحيي الشرق العدد ٣٠٥ ١٠ / ١ / ١٩٩٨ ص٣

مرجع سابق

● حسب تقرير وزارة الخارجية البريطانية بلغ عدد سكان سوريا الطبيعية (قبل التجزئة) عدا سنجق القدس عام ١٩١١ (٢،٨٩٣،٤٠٠) نسمة منهم ٦٤٤٦٠٠ نسمة مسيحيون وتشكل هذه النسبة ٢٢ % من نسبة السكانxxx

xx Great Britain , F. O. corespondence relating to the affairs of syira 371 / 1236 / no 47157 (6 nov 1911)

وكل ما سيرد بأحرف F. O. هو مختصر للنص أعلاه

[xxx] رالف غضبان: مرجع سابق ص ٤

حيث انضمت الأولى إلى مجلس الكنائس العالمي عام ١٩٦٠، كما انضمت إلى مجلس كنائس الشرق الأوسط مبعدة عزلتها عن المحافل الكاثوليكية والبروتستانتية، مما جعل البعض يثني على هذا العمل، فيما رأى البعض الآخر أن ذلك يفقد الكنائس الأرثوذكسية الشرقية حرية اتخاذ القرار الذي تمتعت به لقرون وجعلها كنائس طبيعية شرقية محافظة على تراثها التاريخي.

على أن التقارب لا بد منه في أي مذهب ديني مهما كانت الصعوبات، فالعالم يتقارب من بعضه البعض بشكل سريع، ولا بد من وحدة الطوائف المسيحية لتستوعب معطيات الألف الثالثة لميلاد المسيح.

وقد كتب المفكر اللبناني نجيب عازوري عام ١٩٠٥ يقول: ليس أسهل ولا أكثر توافقاً مع ميول الأمة من إنشاء كنيسة وطنية عربية تتلى فيها الصلوات باللغة العربية لتحل محل اللغات اليونانية واللاتينية والسريانية والكلدانية. فالعربية لغة القرآن والإسلام. فما المانع من جعلها لغة للطائفة الكاثوليكية؟ وبتأسيس بطريركية خاصة للكنيسة الجديدة ستضم إليها الكنائس الأخرى في بضع سنوات، وخاصة الكنيسة الأرثوذكسية التي ستنظم بصورة عفوية لأنها ستدفع إلى ذلك بحركة عامة للأمة، وسيتعاطف المسلمون مع المسيحيين لأنهم يقتربون منهم من أجل الخلاص والخير العام للوطن المشترك، الوطن العربي[x].



[x] nagib Azoury : le reveil de la nation Arabe, librairie plon , paris , 1905 P 245

كنيسة السريان الأرثوذكس

الكنيسة السريانية الأرثوذكسية هي أعرق المراكز الدينية السورية في تقاليدها ومذهبها وطقوسها وجهازها المعياري ورموزها، وتشغل موقعاً مرموقاً في عالم جغرافيا المؤسسات والكنائس والمذاهب التاريخية في عالمنا، وتمثل أحد محاور تأسيس الهوية السورية لدى السريان الأرثوذكس. وتاريخها الديني – الاجتماعي وتقاليدها تمثل مكوناً بارزاً للخيال الجماعي لدى أجيال تلو أجيال من السريان الأرثوذكس التابعين لها. كما شكلت المؤسسة السريانية الأرثوذكسية أحد خطوط الوطنية السورية، وأحد الأصوات التاريخية في التعبير عن الانتماء السوري – العربي الثقافي والتاريخي عموماً.

وكان أهل هذه الكنيسة أول من دان بالنصرانية وقدموا ضحايا كثيرة، وإلى بطرس الرسول في انطاكيا في القرن الميلادي الأول ينسب تأسيسها. اشتغلت بصنوف العلوم ونبغ كتابها وعلماؤها مدة اثني عشر قرناً تسمى عصرها الذهبي، فبدأت بعلم الكتاب المقدس من حيث ترجماته وضبطها وتفسيرها، وقد اشتهرت منه الترجمة المعروفة بالبسيطة ثم تلتها الترجمة المشهورة بالسبعينية التي ترجمها بولس التلي سنة ٦١٥.

تبنت الكنيسة السريانية الأرثوذكسية عقيدة الطبيعة الواحدة في المسيح منذ رفضها لمجمع خلقيدونية المسكوني الرابع (٤٥١) الذي شرّع عقيدة الطبيعتين في المسيح كعقيدة رسمية للإمبراطورية الرومانية. ودعاها منافسوها باليعقوبية نسبة إلى المطران يعقوب البرادعي (ت ٥٧٨) الذي ثبت مؤسساتها، وأقامها من كبوتها الناجمة عن سياسة النفي والسجن التي مارستها السلطة بحق أنصارها، وقد دعم البرادعي الامبراطورة تيودورة زوجة جوستنيان، والملك الحارث الغساني، وكان الحارث مع قومه من أتباع الكنيسة السريانية.

وتعاظم قوة الكنيسة حتى القرن التاسع حين كان لها ما ينيف على مائة وستين ابرشية، وما لبث نفوذها أن بدأ ينحسر حتى أن ابن العبري، أحد أركانها البارزين (ت ١٢٨٦) كان

يشكو من فراغ وخراب أبرشيات عامرة مثل انطاكيا وكومايا والرقة والرها وحران والأبرشيات السبع المحيطة بملطية [x]. وأخذ عدد الأبرشيات يتناقص إلى أن وصل في السبعينات من القرن الماضي إلى سبع عشرة، ثم أضحى الآن ٢٨ أبرشية. وبين هذا المد والجزر، ففي الأول وكما يرى البعض لم يكن عدد العرب لدى دخولهم سوريا يتجاوزون ربع المليون بينما كان سكان سوريا يتجاوزون السبعة ملايين[xx] فيما يبلغ عددهم الآن في أرجاء العالم عدا الهند ٢٥٠ - ٣٠٠ ألف نسمة[xxx].

ولعل أبناء هذه الكنيسة أكثر من غيرهم ممن ابتلعتهم الطوائف الأخرى، كما ذاب قسم كبير منهم في الإسلام بدءاً من الحميريين في اليمن إلى الغساسنة العرب في القرن السابع، فإلى إسلام أبرشيات أخرى في فارس والعراق وتركيا على فترات متفرقة، وإلى السريان الكاثوليك في آخر مراحل تغيرهم، دون أن ننسى كذلك دخولهم إلى الكنيسة البروتستانتية.

وفوق هذا وذاك، فقد تعرضت الكنيسة لنكبة كبرى خلال ١٩١٤ إلى ١٩٢٦ وكانت مذابح وهجرات، فقتل من أبنائها ٩٠٣١٣ نسمة في ٣٣٦ قرية وعدد العائلات التي فنيت كان ١٣٣٦٠ ودمر ١٦٠ كنيسة ودير وقتل ١٥٤ كاهن ورجل دين و٧ بين مطران ونائب بطريركي[xxxx] وفق مذكرة من البطريرك أفرام الأول برصوم عام ١٩٢٠ محفوظة في أرشيف الخارجية البريطانية.

قتل هؤلاء وهم عزل غير محاربين، ولم يقاوم سوى ثلاث قرى: أزخ وعين ورد وبسيرينة، كما تروي مؤلفات مخطوطة وروايات الشيوخ شهود العيان. وترتب على الحرب والمذابح إخلاء السريان إخلاء شبه تام من منطقتهم التاريخية.

وكان للكنيسة السريانية الفضل في تبشير الأرمن والعرب والهنود، وهدى يوحنا مطران

---

[x] المطران اسحق ساكا: كنيستي السريانية الجزء الأول مطابع ألف باء - الأديب دمشق ١٩٨٥ ص٢٥٠

[xx] عبد الهادي نصري: شمس آرام شمس العرب مطبعة الاحسان - حلب ١٩٨٦ ص ١٨

ونرى أن أكثر هذا العدد الموجود في سوريا كان سريانياً

[xxx] سمير عبده: السريان قديماً وحديثاً المعهد الملكي للدراسات الدينية - عمان ١٩٩٧ ص٩٢

[xxxx] المطران اسحق ساكا: كنيستي السريانية الجزء الأول ص٢٥٠ مرجع سابق

أفسس، من القرن السادس، ثمانين ألفاً من وثنيي آسيا الصغرى إلى المسيحية، وبنى لهم ٩٢ كنيسة وعشرة أديرة[x].

وقد تنقل المقر البطريركي عبر أرجاء الشرق الأوسط، فمن انطاكية إلى الرها فأرمينيا فملاطية، وإلى دير الزعفران في تركيا الحالية بدءاً من عام ١١٦٦، ثم انقسامها إلى عدة بطريركيات بدءاً من القرن الثالث عشر حين انشقت عنها بطريركية ماردين وطور عابدين ثم عودة ماردين إلى البطريركية الأم عام ١٤١٢ وعودة طور عابدين عام ١٨٣٩، وتم نقلها في القرن العشرين من دير الزعفران بعد أن أصبح في الوقت الحالي من المناطق السورية التي ضمتها تركيا إليها، فكان أن انتقل هذا المقر إلى حمص ومن ثم إلى دمشق حيث لا يزال.

وتبدو إسهامات الكنيسة السريانية عبر رعاياها في حضارة المنطقة كبيرة ومتنوعة وخاصة في الألف الأول الميلادي، فقد قدمت نخبة كبيرة من الاكليروس العلماء والأدباء واللاهوتيين والرياضيين والشعراء والفلاسفة والمؤرخين، تملأ نفائس كتاباتهم أشهر المكتبات في العالم، فقد كان أول من فسر الكتاب المقدس هو القديس افرام النصيبيني الموطن، المشهور بالسرياني المتوفى سنة (+٣٧٣)، وكان من المفسرين لبعض أجزاء من الكتاب المقدس الجاثليق داد يشوع (+٤٥٧) . ومن علماء اللاهوت افرهاط الفارسي (+٣٤٥) ومار افرام السرياني واسحق الإنطاكي ومار يعقوب السروجي (+٥٢١) .

وأخيراً فإن أي سرياني في العالم أصله من سوريا ، حيث نسبة عدد سكان سوريا للمجموع العام يعادل واحد بالمئة[xx] فيما كان عددهم عام ١٩٣٤ (٣٦٥٨١)[xxx] وعام ١٩٥٦ (٥٥٣٤٣) نسمة[xxxx] .

وينتشر أبناء الكنيسة السريانية الانطاكية الأرثوذكسية اليوم في البلاد العربية (سوريا، لبنان، العراق، الأردن، مصر، فلسطين، بلدان الخليج العربي) وتركيا وأوربا والأميركيتين

---

[x] غريغوريوس يوحنا ابراهيم: مجد السريان – مارأغناطويس أفرام الأول برصوم: حياته ومؤلفاته دار ماردين ودار الرها – حلب ١٩٩٦ ص٩٩

[xx] سمير عبده: السريان قديماً وحديثاً مرجع سابق ص٩٢

[xxx] عبد العزيز العظمة مرآة الشام، تاريخ دمشق وأهلها منشورات رياض الريس للكتب والنشر – لندن د.. ت ص٢٤

[xxxx] المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٥٦ مديرية الإحصاء، وزارة الاقتصاد الوطني – دمشق السنة التاسعة ص١٩

الشمالية والجنوبية وأوستراليا، والهند.

ويحتل الشعب السرياني في جميع تلك الأقطار مكانة محترمة ومترلة تليـــق بــه، نظــراً لتمسكه بالإيمان وتحليه بالفضائل وإخلاصه للوطن وحبه للعمل ومستواه الاجتماعي الراقي.

هذه هي صورة الكنيسة السريانية الانطاكية، كنيسة الشرق الأصيلة ذات الشـــخصية المعنوية الكاملة من حيث الايمان والعقيدة الليتورجية والخدمة ونشر البشارة الإنجيلية إلى أقصـى الشرق، الكنيسة التي مزقت الانقسامات جسمها، فتعددت أسماؤها واختلفت اتجاهاتها.



الكنيسة القبطية

لعل الكنيسة القبطية هي الكنيسة الوحيدة في الشرق العربي التي لم تصدّر من سوريا، ومع ذلك سنذكر ملامح عنها حتى نكون في صورة المسيحية الشرقية.

ويعرف مسيحيو مصر بعبارة (الأقباط) ومفردها (قبطي) وتجيء من لفظ (قبط) - كما جاءت في القرآن- وهي تعريب للأصل (حبط) اختصاراً لكلمة (ايجبتوس)، وهذا ما كان اليونانيون القدماء يصفون به مصر.

وحين نذكر الأقباط فهم رعايا الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، التي انشق عنها حديثاً (الكنيسة القبطية الكاثوليكية) و (الكنيسة القبطية الإنجيلية). والكنيسة الأم هي نتيجة اكتمال النظام الرعوي الرئاسي بمدينة الإسكندرية وتتبعها بلاد النوبة والسودان والحبشة واريتريا، وكانت قيادة الكنيسة تتمثل في الأسقف والقس والشماس وفي مصر كان البابا ديمتريوس - الثاني عشر في تعداد البابوات - أول من أقام الأساقفة.

ظهرت المسيحية في مصر عام ٦٠ في الوقت الذي كانت تسودها الثقافة الاغريقية الممتدة من عام ٣٠ ق.م إلى ٣١١ أي عام صدور التسامح الديني الذي أصدره الإمبراطور قسطنطين، فأصبحت الديانة المسيحية بمقتضاه إحدى الديانات المعترف بها رسمياً في الدولة الرومانية، ويعقبها مرحلة سيادة الثقافة العربية من أوائل القرن الثامن حتى نهاية العاشر الميلادي، وفيها أخذت الثقافة القبطية تتلاشى تدريجياً وأصبحت الكنيسة تتمثل اللغة العربية فتمكن علماؤها من التعبير بلغة عربية فصيحة عن العقيدة المسيحية وتعاليمها وتدوين قوانينها.

وفي مجمع خلقيدونية المنعقد عام ٤٥١ حرّم أساقفة المجمع ديوسفورس بابا الكنيسة المصرية لدفاعه عن مذهب الطبيعة الواحدة. وهذا ما اعتبر نقطة تحول في العلاقات الدولية بين المصريين والكنيسة البيزنطية. فبعد نفي ديوسفورس ووفاته بالمنفى عام ٤٥٥ عينت الكنيسة البيزنطية بطريركاً ملكانيا على الإسكندرية، فما كان إلا أن انتخب المواطنون المصريون أحد

المواطنين المصريين بطريركاً وهو تيموثيوس، ولكن الحاكم البيزنطي طارده وعزله قهراً، فاتخذت المقاومة شكل جهاد قوى مصري ضد الكنيسة البيزنطية[x].

وأخذت الكنيسة القبطية الطابع القومي بعد كل هذه الأحداث التي عصفت بها، وأخذ تأكيد هذا الطابع يتقوى بالجدال مع البيزنطيين، فكان ينظر الأقباط إلى الخلقيدونيين، الذين تسموا فيما بعد بالملكيين، أنصار الامبراطور، كهراطقة. ومن يقرأ كتاب يوحنا والسباب الذي يكيله للبيزنطيين يفهم إلى أي درجة وصلت نقمة الأقباط نحو أنصار بيزنطا. فقد سُلب الاقباط كنائسهم وتحملوا ضغوطاً مختلفة لكي يعتنقوا المذهب الخلقيدوني، ولكنهم لم يتزعزعوا عن موقعهم معتقدين أن العقيدة السليمة هي عقيدتهم وأن الكنائس الأخرى أخطأت.

و لم يشفع للمسيحيين العرب (والآراميين والأقباط) أنهم من أتباع الدين المسيحي، بل كانت بيزنطية ترغب في اختفاء كل المذاهب المسيحية التي تخالف المذهب الرسمي. كان الإمبراطور هو الرأس الديني والدنيوي، وكان الخروج على الوحدة الدينية للإمبراطور خروجاً في نظره، على وحدتها السياسية[xx].

وحين أرسل البطريرك ميخائيل (٧٢٨ - ٧٥٢) طلباً للوالي ملك بن مروان مكتوبة بالقبطية والعربية، لم يكن يعرف كلمة واحدة من العربية واضطر أن يستعين بمترجم للتحدث مع الخليفة مروان الثاني. ولكنه تدريجياً تعلم الاكليروس اللغة العربية، وهناك نص شهير عند سويرس، مطران الآشونيين حيث يصرح فيه أن اللغة العربية كادت تنتشر في جميع أنحاء مصر وأن جزءا كبيرا من السكان لا يعرفون اليونانية ولا القبطية.

ومع تقدم التأسلم، أخذت اللغة العربية تنتشر بطريقة طبيعية بحيث أننا نميز بعد ثلاث قرون من الفتح، ثلاث فئات من الشعب:

١- فئة العرب الوافدين الذين لم يشعروا قط الحاجة إلى تعلم اللغة القبطية.

٢- فئة الأقباط الذين اعتنقوا الإسلام فأسرعوا لتعلم اللغة العربية وأصبحوا مزدوجي اللغة.

٣- فئة الأقباط الذين تمسكوا في عقيدتهم المسيحية ولغتهم القبطية. ولكن بعد

---

[x] الأب الدكتور جورج قنواتي: المسيحية والحضارة العربية المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ص٣٦ مرجع سابق

[xx] الدكتور ادمون رباط: المشرق المسيحي قبل الإسلام منشورات الجامعة اللبنانية - بيروت ١٩٨٠ ص٨٩

اضطهادات الأفشيين سنة ٨١٣ والخليفة الحاكم (٩٩٦ - ١٠٢٠)، أخذت الفئة الثالثة تتضاءل واضطرت هي أيضاً أن تتعلم العربية، بحيث أن اللغة القبطية، في القرن الرابع عشر لم تكن مستعملة إلا في الأديرة[x].

وقد أعطت الكنيسة القبطية النصرانية رجالاً عظاماً وأعلاماً متميزين جمعوا بين السيرة الفاضلة والعلوم اللاهوتية والفلسفية كأوريجانس العلامة العظيم وديونوسيوس الاسكندري واناطوليوس واسطفانس اللذين جلسا تباعاً على كرسي اللاذقية في القرن الثالث، وقد اشتهر منهم في النصف الثاني من القرن السابع الاسقف يوحنا النقوسي الكاتب البارع والمؤرخ المدقق صاحب تاريخ مصر باللغة القبطية، وسويريوس ابن المقفع أسقف الاشمونين الكاتب الجدلي كاتب تاريخ بطاركة الاسكندرية (٩٨٧) والقس الرشيد أبو الخير ابن الطيب صاحب كتاب درياق العقول في علم الأصول[xx] .

كما لا ننسى أسماء جبرائيل بن تريك، ومرقس الضرير بن موهوب ابن القنبر، وميخائيل مطران دمياط، وأبو صالح الأرمني، والرشيد أبو الخير بن الطيب، وبطرس السدمنتي، وبطرس البوشي، ويوحنا بن مينا.

يقع مقر البابوية القبطية في منطقة الأنباروبس من القاهرة حيث مركز الدراسات القبطية كذلك، ويبلغ عدد الأقباط في مصر وحدها، بدون مرجع موثوق به، بين عشرة وخمسة عشر من سكان مصر، ويضعه البعض في خانة العشرين من المئة، وهم من الفئة المتعلمة في المجتمع المصري.



[x] الأب الدكتور جورج قنواتي: المسيحية والحضارة العربية ص٣٦ مرجع سابق

[xx] البطريرك مار اغناطيوس أفرام الأول برصوم: منارة انطاكيا السريانية - دار الرها - حلب ١٩٩٢ ص٢٨

كنيسة الشرق القديمة

تسمى هذه الكنيسة أيضاً بالكنيسة الآشورية، وكما هو معروف فهي والكنيسة السريانية كانتا كنيسة واحدة في بداية المسيحية إلى أن اتبعت تعليم نسطور (نسطوريوس) بطريرك القسطنطينية، وكان قد أصبح بطريركاً لها عام ٤٢٨. ومما اشتهر به قوله إن في المسيح طبيعتين واقنومين بشخص واحد وأن لاهوت المسيح لبس الناسوت، وأن الناسوت صار هيكلاً للاهوت ومسكناً له، وأن مريم لا يجوز أن تدعى أم الله بل أم المسيح الإله، لأنها لم تلد اللاهوت، بل ولدت شخصاً هو إله وإنسان معاً، وكانت هذه آراء قد جاهر بها قبله بعض علماء انطاكيا ونواحيها، أمثال ديودوروس أسقف طرسوس (٣٨٧ - ٤٢٨). وما أن بلغت هذه التعاليم مسامع قورلس الإسكندري حتى هب لمقاومتها بأقوال لا تخلو من الغموض، فكان تارة يقول إن في المسيح طبيعة واحدة، أي طبيعة الإله المتجسد، وطوراً يقول إن في المسيح طبيعتين متحدتين لكن المسيح واحد. وحينئذٍ أمر الإمبراطور تادوسيوس الثاني بعقد مجمع مسكوني في أفسس (٤٣١) لحسم هذا التراع العقائدي حيث كان رئيس المجمع قورلس نفسه. فحرم الأساقفة الحاضرون نسطوريوس وتعاليمه وعزلوه من منصبه. أما يوحنا بطريرك انطاكيا وأساقفته الذين تأخروا قليلاً عن المجمع فدافعوا عن نسطوريوس لدى وصولهم، وعقدوا هم أيضاً مجمعاً في أفسس نفسها حرموا فيه قورلس وأصحابه، وطال التراع بينهما .

وقد تدخلت السلطة المدنية لحسم هذا التراع وفرضت اتفاقاً على الفئتين، فالتأم في حلب سنة ٤٣٢ مجمع برئاسة يوحنا بطريرك انطاكيا حضره جميع أساقفة المشرق، ما عدا رابولا المتحزب لقورلس. وحرم المجمع نسطوريوس من جديد، وبعدئذٍ وقّع قورلس مع أساقفته قانون الإيمان الذي أرسله إليه البطريرك يوحنا، وكان فيه أن يسوع المسيح إله وإنسان معاً، وأن فيه طبيعتين: طبيعة إلهية وطبيعة إنسانية، وان مريم هي ام الله. فقدم الطاعة للبطريرك يوحنا بعض الأساقفة المخالفين. أما الذين رفضوا الطاعة فقد أرسلوا إلى المنفى بقوة السلطة

المدنية الحاكمة، فساد السلام فترة بين المصريين والشرقيين[x].

أما نسطوريوس فانفرد في دير بالقرب من انطاكيا، وبعد أن انزوى مدة في عزلة قريبة من البتراء، وحسبما روى المؤرخ سقراطس أنه قبل لفظة (تيوتوكس) أي أم الله وكأنه مرغم على ذلك قائلاً: لندعَ مريم أم الله وليبطل هذا النزاع). ولكن لم يقم أحد وزناً لكلامه و لم يقبل تراجعه هذا الذي جاء متأخراً. اما ما تبقى من الموالين له، فانتشروا في المناطق الشرقية، وخصوصاً في المملكة الفارسية حيث اشتد نفوذهم حتى شمل الإمبراطورية الفارسية كلها[xx].

على أن كنيسة الشرق القديمة اتخذت الخط النسطوري رسمياً عام ٤٨٦ بهمة بارصوما الأسقف ذي النفوذ في البلاط الفارسي، مستفيداً من الظرف السياسي الذي يجعل المسيحية النسطورية مذهباً مخالفاً لمذهب بيزنطية، وبالتالي منسجماً مع سياسة عدوها، وتميز الآشوريون أتباع كنيسة الشرق القديمة عن غيرهم من مسيحيي الشرق، وشابهوا الموارنة في المحافظة على كيان ذي وزن سياسي لعب دوراً مهماً في تاريخ المنطقة وتجاوزه إلى الشرق الأقصى، (ولعبت الكنيسة دوراً مهما في القرن الثالث عشر أثناء غزو المغول للمنطقة عبر الجاثليق يهبالاها الثالث التركي المغولي الأصل. ورحلة الربان برصوما إلى روما وفرنسا وإنكلترا سفيراً للخان أرغون بغرض توحيد الصف المسيحي ضد المسلمين بعد أن خسر الصليبيون القدس أمام جيوش صلاح الدين .... دوّن برصوما أخبار الرحلة، وما زالت محفوظة بالسريانية)[xxx].

تنقل مقر الجاثليق الأول من مكان إلى آخر، حيث انتقل في عام ٧٦٢ إلى بغداد عندما بناها الخليفة المنصور، وفي عام ١٣٣٥ إلى دير الربان هرمزد قرب الموصل، ثم طرأت عليها الانشقاقات بدءاً من ١٤٤٥ فتنوعت مقارها، حيث عُد هذا التاريخ هو تاريخ إنشاء الكنيسة الكلدانية بعد أن التحقت بكنيسة روما.

وهذه الكنيسة كغيرها من الكنائس الشرقية طرأ عليها الانشقاق تلو الآخر، فبعد خروج الكلدان منها طرأ في عام ١٩٦٨ انشقاق حينما رفض قسم من الرعايا أتباع التقويم الغريغوري

---

[x] الأب البير ابونا: أدب اللغة الآرامية مطبعة ستاركو – بيروت ١٩٧١ ص١٠٦

[xx] الأب البير ابونا: أدب اللغة الآرامية مطبعة ستاركو بيروت ١٩٧١ ص١٠٦

[xxx] جان موريس فاييه: الكنيسة السريانية الشرقية ترجمة كميل حشيمه دار المشرق - بيروت ١٩٩٠ ص٢٥

عوضاً عن اليولياني متخذة اسماً جديداً لطائفتها هو (الكنيسة الرسولية الجاثليقية القديمة) ومقرها بغداد، يتبع البطريرك مطرانان أحدهما في الموصل والآخر في تريشور - الهند وأساقفة في كركوك والهند.

أما الكنيسة الأخرى فدعيت (الكنيسة الشرقية الآشورية) بدل (كنيسة الشرق القديمة) حيث اتبعت التقويم الغريغوري، ومقر بطريركها شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية، وألغت النظام الوراثي للبطاركة الذي تأسس عام ١٤٨٠ والذي قضى بأن يرث المنصب ابن أخي البطريرك المتوفي[x].

يتبع هذه الكنيسة مطرانيات في بيروت وبغداد وتريشور في الهند، وأسقفيات في الحسكة من سوريا وكركوك في العراق.

والتسمية التي تتخذها هذه الكنيسة (الكنيسة الشرقية الآشورية) تنحو المنحى القومي، فتاريخ شعبها الموغل في القدم يضع اسم إله الآشوريين، واسم عاصمتهم وامبراطوريتهم واسم ولاية بعد سقوط الامبراطورية الآشورية عام ٦١٢، ويظهر الإله آشور منذ ١٨٠٠ ق.م نظير للاله السومري أنليل.

لا تظهر المنشورات الاحصائية التي لدينا عن عدد أبناء الكنيسة الآشورية في عام ١٩٣٤ أما عام ١٩٥٦ فقد بلغ ١١٧٦٠ نسمة[xx] وإن كان المتداول أن عددهم يقل عن خمسة آلاف في سورية في الوقت الحاضر.

والآشوريون شعب أصيل لا يضاهون بطيبتهم وشجاعتهم واعتدادهم بالنفس على رغم العنف الذي صبغ تاريخهم المأساوي خلال القرن العشرين بما تعرضوا له من مجازر ومذابح، ولعل هذا ما أفضى بالعلمانيين منهم إلى إنشاء الاتحاد الآشوري العالمي الذي يضم تنظيمات وأحزاباً تتراوح أهدافها السياسية بين السعي لإقامة دولة آشور وبين الاكتفاء بحكم ذاتي. ولهذا الاتحاد ممثل في مكتب حقوق الإنسان في الأمم المتحدة.

---

[x] سعد سعدى: معجم الشرق الأوسط دار الجيل - بيروت ١٩٩٨ ص٣٥٢

[xx] المجموعة الاحصائية السورية لعام ١٩٥٦ ص١٩ مرجع سابق.

الكنيسة الأرمنية

يعود سكن الأرمن إلى بلاد أرمينية وقفقاسيا وكيليكيا التي كانت تعتز بملوكها الوطنيين الذين ساعدوها على نشر النصرانية وهي التي قدمت شهداءها شهادة لصحة هذا الدين المبين واعتصاماً منها به، وعلى ذلك اعتبرت أرمينية أول مملكة اتخذت المسيحية ديناً رسمياً في القرن الثالث الميلادي بمسعى القديس الأرمني غريغوريوس المنوّر (ت ٣٣٢).

ويروي تقليدها الشفهي قصة مراسلة جرت بين ملك أرمني يدعى أبكار مع المسيح داعياً إياه إلى مملكته، وهي القصة ذاتها التي ينسبها السريان إلى ملك الرها - أديسا - السرياني أبجر أو كومو.

وما عمتها النصرانية حتى مالت إلى العلوم وذلك بلغتها فقط، وكانت في أول أمرها تكتب لغتها بالحروف السريانية أو اليونانية حتى نبغ منها في النصف الأول من القرن الخامس الجاثليق ساهاك الكبير (٤٣٩) ومسروب (٤٤٠) وكانا يحسنان الأرمنية واليونانية والسريانية. فاخترع مسروب الحروف الهجائية الأرمنية بمساعدة الأستاذ دانيال السرياني ونقل التوراة من السريانية إلى الأرمنية، ونشأ له تلاميذ كثيرون اشتهر منهم الأسقف (أزنيك) المترجم الناقل من السريانية واليونانية ومن أفضل كتّاب الأرمنية الذي ألف كتاباً في تفنيد البدع بعد سنة ٤٤٩، ومنهم الأسقف اليشاع الملفان (٤٨٠) مؤلف تاريخ ورتان والأرمن ودفاعهم ضد الفرس، وداود الأرمني مترجم تأليف لأرسطو وأفلاطون ومؤلف مقالات فلسفية، ولعازر باربي الفصيح مؤلف تاريخ أرمينية من سنة ٣٨٨ — ٤٨٥.

كما برز منهم الجاثليق أوهانس الأول مندكوني الذي تنسب له خطب وصلوات ليتورجية نحو ٤٩٠، وموسى الخوريني مؤلف تاريخ أرمينية القدم الذي حوى من القصص والشعر أكثر من المعلومات التاريخية (القرن الثامن أو التاسع) والجاثليق أوهانس (يوحنا) الثالث الفيلسوف الكاتب الكبير الذي كتب ضد البدع وألف مجموعة قوانين (٧٢٨) وهو الذي عقد

معه بطريرك السريان اثناسيوس الثالث الاتحاد سنة ٧٢٦ وتطوع له بدير من ديور السريان تدرس فيه اللغتان السريانية والأرمنية والعلوم اللاهوتية لرهبان السريان والأرمن، ويوحنا الخامس باثمان مؤلف تاريخ مضبوط ٩٣١ ونرسيس شينورهالي الجاثليق واضع الأناشيد العذبة والصلوات الأرمنية المستحبة ١١٧٢ والعلامة غريغور تاتيف ١٤١٠ الذي أحيا بسعيه المدرسة اللاهوتية. وملاخيا اورمانيان البطريرك الذي كتب تاريخ الأرمن وأجاد فيه سنة ١٩١٨[x].

وتبنت الكنيسة الأرمنية عقيدة الطبيعة الواحدة في المسيح رافضة مجمع خلقيدونية عام ٥٤١ الذي شرع القول بالطبيعتين الإلهية والإنسانية. ثم انشق عنها قسم إلى الكثلكة التبشيرية في القرن السادس عشر وما بعد، وقسم آخر انضم إلى المذهب الانجيلي مع وفود البعثات التبشيرية الانجيلية في القرن التاسع عشر .

ومنذ البداية، بادرت الكنيسة الأرمنية إلى تطوير طقس خاص بها يعتمد اللغة الأرمنية دون غيرها. وقد ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الأرمنية عام ٤٠٦.

وكان من أهم العوامل التي جعلت الأرمن يعتنقون مذهب (الطبيعة الواحدة) كما فعل الأقباط في مصر، والسريان في الشام، هو امتعاضهم من سياسة الدولة الرومانية البيزنطية، وحصل ذلك عام ٥٥٦ في مجمع القسطنطينية الثاني حيث أعلنت الكنيسة الأرمنية قبولها لهذا المذهب، رافضة التقيد بمقررات المجمع المسكوني الخلقيدوني.

هذا وقد انقسمت الأرثوذكسية الأرمنية نتيجة ظروف تاريخية صعبة اجتازها الأرمن إلى:

١- جثلقة اتشميازين: التي تأسست في أرمينية بعد غياب أربعة قرون عن الوطن، بدأت مع الغزو السلجوقي لأرمينية حيث كانت خلال هذه الفترة في كيليكية، أما جثلقة كيليكية التي استمرت في كيليكية فقد اعترفت لها بأولوية شرف، ويتبعها أرمينية وخمسة عشر ألفاً في العراق، وعشرون ألفاً في مصر، ولها عشر أبرشيات. ويعود تاريخ هذه الكاتدرائية إلى العام ٣٠٣ علماً بأنه أعيد بناؤها مراراً منذ ذلك الوقت.

٢- جثلقة كيليكية الرسولية الأرمنية: كانت نشأة هذه الجثلقة في القرن العاشر في

---

[x] البطريرك ما اغناطيوس أفرام الأول: منارة انطاكيا السريانية دار الرها حلب ١٩٩٢ ص ٢٩ مرجع سابق

كيليكية على أثر غزو السلاجقة الترك لأرمينيا، وانتقل قسم منـــها عـــام ١٤٤١ ليؤسس جثلقة اتشميازين في أرمينية، متحـــدة مـــع بـــاقي الكنـــائس الأرمنيـــة الأرثوذكسية في العقيدة الليتورجية. وانتقل مقرها عام ١٩٣٠ إلى أنطلياس – لبنان وذلك أثر مذابح الأرمن في تركيا التي قتل فيها ما يزيد على المليون نســـمة. لهـــا اكليركية في بكفيا من لبنان تتبعها ١٢ أبرشية. رعاياها في لبنان ١٥٠ ألفـــاً، وفي سوريا ١٠٠ ألف، وفي إيران ١٧٠ ألفاً، وفي قبرص ٣٥٠٠ يعود وجودهم فيها إلى القرن الحادي عشر، وفي الكويت والإمارات ١٢ ألفاً، وفي الولايات المتحدة وكندا ٦٠٠ ألف.

٣- بطريركية القسطنطينية: وهي تتبع جثلقة اتشميازين، يبلغ عدد أفرادها ٨٠ ألـــف أرمني تركي بينهم ٦٠ ألفاً يقيمون في اسطنبول، اعتبرها العثمانيون عـــام ١٤٦١ ممثلة لكل الأرمن في الامبراطورية العثمانية، كما تفرض السلطات التركية أن يكـون البطريرك مواطناً تركياً وأن نساهم في تعينه، وقد تأسست هـــذه البطريركيـــة في اسطنبول عام ١٤٦١[x].

٤- بطريركية أورشليم الأرمنية: وهي تتبع جثلقة أتشميازين روحياً، ويرجع وجـــود كنائس أرمنية في أورشليم إلى القرن الخامس وهي تشكل أكثريـــة عدديـــة بـــين الكنائس الأرثوذكسية في فلسطين. ويبلغ عدد تابعيها ١٥٠٠ عضـــو ومثلـــهم في عمان، وقد هاجر تسعون بالمئة من الأرمن عامي ١٩٥٠ و١٩٧٣[xx].

وبلغ عدد الأرمن في سورية عام ١٩٣٤ (٦٥٥٦٧) نسمة[xxx] وجاء ترتيبهم الثـاني بعد طائفة الروم الأرثوذكس، كمـــا بلـــغ عددهـــم عـــام ١٩٥٦ (١١٤٠٤١) نسمة[xxxx].

---

[x] صحيفة النهار بيروت ١٥ / ١٩ / ١٩٩٨ ص١٣

[xx] MECC Documentation Center, (Who are the Christian of the middle East) MECC perpectives, October 1986 P29.

[xxx] عبد العزيز العظمة: مرآة الشام، تاريخ دمشق وأهلها مرجع سابق ص٢٤

[xxxx] المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٥٦ مرجع سابق ص ١٩.

كنيسة الروم الأرثوذكس

تعود نشأة هذه الكنيسة إلى ما عرف بالانشقاق الكبير الذي حصل في القرن الحادي عشر بين كرسي روما وكرسي القسطنطينية ثم صار يعرف بالكنيسة الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية، وتوزعت الكنيسة الأرثوذكسية إلى كراسي بطريركية مستقلة في روسيا والبلقان واسطنبول.

أما في الشرق فقد عاش أبناؤها في فلسطين و سوريا ومصر وآسيا الصغرى وقبرص واليونان وغيرها التي استعملت في عبادتها اللغة اليونانية، وجانب منها في سورية استعمل اللغة السريانية. ويُفترض أن الروم الأرثوذكس كانوا يتبعون طقساً (سريانياً أورشليمياً) خاصاً بهم في الأصل. وأن الملكانيين في أبرشية انطاكيا كان لهم، أيضاً، طقسهم (السرياني الانطاكي) الخاص، في حين كان الملكانيون الاسكندرانيون يتبعون طقساً (قبطياً اسكندرانياً). فلما قضت الظروف بأن يخضع الملكانيون للسيطرة البيزنطية أينما كانوا، اضطروا إلى هجر طقوسهم الأصلية واقتباس الطقس اليوناني القسطنطيني، وهو المسمى (البيزنطي) بدلاً منها. وربما حدث هذا الانتقال من الطقوس الإثنية الأصلية إلى الطقس البيزنطي الموحد على مراحل .

وهذه الكنيسة العظيمة والأمة الكريمة اقتبلت الدين المسيحي في صدره الأول وزينت تاريخ الكنيسة المسيحية العامة بالشهداء السعداء الكثيرين وزينته أيضاً بالعلوم المختلفة. والكل يعلم أن اللغة اليونانية كانت اللغة التي كتب بها أعاظم علماء النصرانية وكبار أئمتها تصانيفهم: حتى في مصر في صدر النصرانية وقرونها الأولى – حتى أن كبار علماء الكنيسة من سائر الأجناس بعد تفرع النصرانية وانقسامها مللاً مختلفة.. ظلوا يدرسون هذه اللغة ويتأدبون بآدابها ويتجملون بها ليتعمقوا في درس كتاب الله ومئات المصنفات الحسان التي كتبت بها. وإذا كانت بلاد اليونان مهد الفلسفة في العصر الوثني فكيف لا ينصرف المتنصرون من سلالة تلك الأمة العظيمة النجيبة إلى السير على خطط أسلافهم المثلى ونفع العالم نظيرهم بآثارهم

العلمية الخالدة[x].

وكنيسة الروم الأرثوذكس لها كراسي بطريركية في الشرق الوسط وهـــي: الكرســـي الانطاكي في دمشق والكرسي الأورشليمي في القدس والكرسي الإسكندري قـــي القــاهرة، وينفرد كرسي القدس بكون بطاركته يونانا جنسا.

ويعود هذا الأشكال إلى رهبانية أسسها بطريرك القدس اليوناني دوستياوس عـام ١٦٦٩ باسم رهبانية كانت قد تأسست في القدس في عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير حيث حصـــر انتخاب البطريرك في رهبانها. واقتصر الانتساب إلى الرهبانية على اليونانيين، وحظــــر علـــى الفلسطينيين[xx] .

وفي عام ١٨٤٥ أنشأ البطريرك كيريلس مدرسة المصلبة اللاهوتية وجلب مطبعة، وأقـام بعض المدارس لتعليم الناشئة، وامتلكت الأخوية أديـــرة وأوقافـــاً في العديـــد مـــن الـــدول الأرثوذكسية: روسيا، صربيا، القوقاس وغيرها، وتعتبر أرثوذكس الشرق يونانا جنسا تعربـــوا بعد الفتح العربي، وبناء على هذا يجب أن يكون البطريرك يونانياً؛ واستطاعت أن تبسط فكرتها هذه على كرسي انطاكيه الذي استولى عليه بطاركة يونانيون عام ١٥٣٤.

وكان من جراء ذلك أن قام في فلسطين حركة أرثوذكسية — وطنية تسعى إلى إقامـــة بطريرك من الوطنيين الفلسطينيين بدءاً من صدور (خطي شريف همايون) عن السلطان العثماني بتاريخ ١٨ شباط ١٨٥٦، ونشطت مع قيام الدستور في ١٠ تموز ١٩٠٨ ولكن الحركـــة لم تحقق هدفها حتى الآن[xxx].

وإذا كان مقاومة أهل البلاد لوجود بطريرك يوناني يرعى شؤون الطائفة في الشرق قـــد أثار الوطنيين الغيورين على عروبتهم، فإن النزاع على إدارة الكنيسة عاضدته روســـــيا. فقـــد نشأت في فلسطين أثر مجمع أرثوذكسي انعقد عام ١٨٧٢ في القســـطنطينية ضـــم بطاركـــة الأرثوذكس الأربعة:انطاكيا، الاسكندرية، أورشليم والقسطنطينية حركة لقيت منـــذ نشـــأتها

[x] البطريرك مار اغناطيوس افرام الأول برصوم: منارة انطاكيه السريانية الجزء الأول دار الرها - حلب ص ٢٤ مرجع سابق

[xx] صحيفة النهار - بيروت ٢٠ / ٨ / ١٩٩٨ ص ١٥

[xxx] علي محافظة: الفكر السياسي في فلسطين ١٩١٨ — ١٩٤٨ مركز الكتب الأردني — عمان ١٩٨٩ الطبعة الأولى ص١٩٠

دعماً وتأييدا من روسيا التي استهدفت تحويل ولاء الشرق إليها من اليونان. واستمرت الحركة تسعى إلى التخلص من هيمنة اليونان على الكرسي الإنطاكي الاورشليمي، وإقامة بطريرك فلسطيني[x] وانخرط بعض أعضاء الحركة في الحركات التحررية العربية[xx] ولكنها أخفقت في ذلك، في حين نجحت الحركة في استرداد كرسي انطاكية من اليونان بعد هيمنة دامت قرناً وربعاً وكان ذلك في ٣١ / ١٠ / ١٨٩٩، وقد انعقد في عام ١٩٩٥ مؤتمر للحركة في قرية انطاكيه في ولاية بنسلفانيا[xxx] وهي حركة دينية سياسية تعود في جذورها إلى ما عرف بـ (المسألة الشرقية) أيام تدهور وانحطاط الإمبراطورية العثمانية.

وحين انتخب البطريرك دوماني أول بطريرك عربي على كرسي انطاكية اعتبر ساطع الحصري، المفكر القومي هذا الانتخاب، إنجازاً كبيراً للقومية العربية.

وتتصاعد منذ فترة دعوات في أوساط طائفة روم انطاكيا الأرثوذكسية تطالب بأن تعاد تسمية الكنيسة لتصبح (كنيسة العرب الأرثوذكس) ويمكن الاستشهاد بما ذكر في بعض الصحف العربية [xxxx].

وتؤمن كنيسة الروم بقرارات المجامع المسكونية السبعة الأولى، وتشترك مع كنيسة روما في الإيمان بعقيدة الطبيعتين الإلهية والإنسانية في المسيح، هذه العقيدة التي حددها مجمع خلقيدونية عام ٤٥١ وتختلف عنها في قصر عقيدة الانبثاق على الآب، فلا تضيف عبارة (والابن) إلى قانون الإيمان كما تفعل كنيسة روما التي تنص (... ونؤمن بالروح القدس المنبثق من الآب والابن).

وسميت هذه الكنيسة منذ بدايات نشأتها ب (الكنيسة السريانية الملكانية) أما تسمية (روم) فقد لحقت بها على الأرجح عند إنشاء نظام الملل في بدايات العصر العثماني.

---

[x] صحيفة الحياة – لندن ٢٦ / ٨ / ١٩٩٢ ص٣

[xx] سليم صويص صحيفة الحياة - لندن ٩ / ١٢ / ١٩٩٢

[xxx] M E CC. IBID

[xxxx] مثلاً صحيفة السفير – بيروت ٢٨ / ٧ / ١٩٩٨ ص ٥ وصحيفة حمص وهي تصدر عن مطرانية الروم الأرثوذكس في مدينة حمص بتاريخ ٢ / ٩ / ١٩٩٨ وصحيفة النهار – بيروت ٢٠ / ٨ / ١٩٩٨ ص٧

ويبلغ عدد أفراد هذه الكنيسة ١،٩ مليون: ٦٠٠ ألف في سورية، ٣٥٠ ألفاً في لبنـــان، والبقية موزعون في فلسطين والأردن ومصر والعراق[x].

فيما كان عددهم في سورية عام ١٩٣٤ (٨٩٩١٨) نسمة[xx]وفي عـــام ١٩٥٦ كـــان (١٨١٧٥٠) نسمة[xxx].



---

[x] سعد الدين إبراهيم: الملل والنحل والأعراف مركز الدراسات الإنسانية – القاهرة ١٩٩٤ ص ٧٣ و ٧٤

[xx] عبد العزيز العظمة: مرآة الشام، تاريخ دمشق وأهلها مرجع سابق ص ٢٤

[xxx] المجموعة الاحصائية السورية لعام ١٩٥٦ مرجع سابق ص ١٩

الكنيسة المارونية

تعود تسمية هذه الكنيسة إلى مار مارون (ت ٤١٠) الناسك القديس الذي تنسك في قورش قرب حلب فيما يعتبر البعض مسكنه قرب حماه من سوريا. ويروي المطران يوسف الدبس أن المونوفيسيين القائلين بالطبيعة الواحدة في المسيح قتلوا ٣٥٠ من رهبانه لاتباعهم تعليم مجمع خلقيدونية، وفق ما جاء في رسالة من رهبانه إلى البابا هرمرذا (٥١٤ – ٥٢٣). دمرديره الإمبراطور يوستنيان الثاني عام ٦٩٤ لأن رهبانه لم ينقادوا إليه في القول بالمشيئة الواحدة في المسيح [x].

على أن يوحنا مارون هو أول بطريرك ماروني عام ٦٨٠ وإليه ينتسب الموارنة كما يذكر اسطفان الدويهي، فهو الذي لم شملهم، وقاد هجرتهم من جبال أمانوس شمال سوريا إلى جبل لبنان عام ٦٨٥ بناء على ما اقتضت معاهدة عقدت بين البيزنطيين والأمويين وقتذاك. وينسبه الدويهي إلى المردة أعداء الأمويين، ويرجعه إلى سلالة أمراء أوربية من جهة والدته. وينفي عنه القول بالمشيئة الواحدة في المسيح، مقرراً عقيدته الأرثوذكسية الكاثوليكية، بينما يأتي المطران يوسف الدبس ببراهين كثيرة على عقيدته الكاثوليكية[xx].

وهناك تواريخ في الكنيسة المارونية لا تنسى: عام ١١٨٠ اتحدت الكنيسة المارونية مع الكرسي البابوي، وفي عام ١٤٥٦ منح البطريرك الماروني لقب بطريرك انطاكيا من قبل البابا، وفي عام ١٥١٠ لقب البابا ليون العاشر الكنيسة المارونية بالسوسنة بين الشوك، مشيراً إلى الآية: ٢: ٢ من نشيد الأنشاد، أي الكنيسة الحقيقية بين شوك الضلال في الشرق[xxx].

وفي عام ١٥٨٤ أسس البابا غريغوريوس ١٣ مدرسة لاهوتية للموارنة في روما التي خرّجت نخبة من أفذاذ العلماء والبطاركة والمطارنة الموارنة كالسماعنة والقلاعي والدويهي وغيرهم.

---

[x] يوسف الدبس: تاريخ سوريا الجزء الثاني المجلد الرابع المطبعة العمومية – بيروت ١٩٠٢ ص ٥٣١ – ٥٤٠

[xx] Kamal Salibi: A House of many mansion : The History of lebanon Reconsidered university of california press – Berkely / los Angelos / london 1988 P. 82 - 84

[xxx] صحيفة النهار بيروت ١٠ / ٣ / ١٩٩٨ ص ٣٨ الأب اميل اده

ومع الذي ذكرناه فإن تاريخ هذه الكنيسة لم يسلم من اللغط، لقد أثار باحثون شرقيون وغربيون حين اكتشفوا في المخطوطات المارونية وسواها من النصوص التاريخية والليتورجية القديمة أدلة مهمة عن وجود يوحنا مارون وقداسة حياته وانتخابه أول بطريرك ماروني بهذا الاسم على كرسي انطاكيا العظمى، وهم كتبوا دراسات عميقة عن نشاطه الأدبي واللاهوتي والاجتماعي والسياسي على مستوى كنيسة مارونية مميزة، وبرهنوا أن هذا النشاط يمتد من العام ٦٥٠ إلى العام ٧٠٧، مع افتراض هامش معقول قبل هذه الحقبة من التاريخ[x].

وممن أثار الشك في وجود يوحنا مارون، البطريرك الماروني كان الكاتب الفرنسي رينودو (١٦٤٦ – ١٧٢٠) الذي استند في موقفه السلبي إلى عدم وجود ذكر لهذا البطريرك في جداول البطاركة الإنطاكيين لدى اللاتين والروم. و لم يرد ذكر يوحنا مارون، بحسب ظنه إلا بدءاً من القرن الرابع عشر، وعنه أخذ كثيرون فيما بعد[xx]. وليس من الصعب الإجابة عن اعتراض من هذا النوع، ذلك أن مصنفات الكنيسة اللاتينية منذ البداية إلى يومنا لم تتضمن جدولاً كاملاً لبطاركة القسطنطينية ولا لبطاركة اليعاقبة والنساطرة، وفي المقابل لا نجد في مصنفات علماء الكنيسة السريانية كالتلمحري وابن العبري وميخائيل السرياني أي جداول معتبرة للباباوات الرومانيين ولا لبطاركة القسطنطينية وسواهم مكتفين بالكلام على البطاركة السريان.

وقد كرس مؤتمر لويزه في لبنان عام ١٧٣٦ الارتباط النهائي بين روما والكنيسة المارونية، التي تؤدي طقوسها السريانية باللغة العربية، والكلام الجوهري بالسريانية.

المقر الحالي للبطريركية المارونية هو في قرية بكركي القريبة من بيروت حيث انتقل إليها المقر في عام ١٧٩٠ من قرية تنورين.

يوجد للبطريركية المارونية مطرانيات في الشرق هي: دمشق، حلب، طرطوس من سوريا، بيروت، بترون، بعلبك، طرابلس، صور، صيدا، لبنان، وقبرص والقاهرة. وهناك أبرشيات مستقلة في المهاجر وخاصة الامريكتين وأفريقيا.

وتعتبر مدارسها اللاهوتية الأربع المنتشرة في لبنان مميزة على باقي الكنائس في الشرق من حيث ازدهار رهبانياتها، وعلو المستوى الثقافي للرهبان. كما أن للكنيسة المارونية جامعة الروح

---

[x] صحيفة النهار – بيروت ١٠ / ٣ / ١٩٩٨ ص ٣٨ الأب اميل اده مرجع سابق

[xx] الأب بطرس ضو: تاريخ الموارنة المجلد الأول بيروت ١٩٧٠ ص٣٥٠

القدس في الكسليك من لبنان تضم قسما للاهوت تديرها الرهبانية المارونية.

والموارنة يعتبرون لبنان موطنهم الأساسي ولهذا سعوا إلى إيجاد المارونية السياسية حتى يحافظوا على السلطة الفعلية بيدهم. ويمكن اعتبار الثورة الفرنسية نقطة بدء لبروز هذا التيار، فبوحي من مبادئها قامت الثورات (العاميات) المارونية في مطلع القرن التاسع عشر مثل عامية أنطلياس وعامية لحفد رافعة شعارات الثورة الفرنسية: عدالة، حرية، مساواة، صالح عمومي. وقد تحالف في هذه العاميات الكنيسة ورأسها المفكر المطران يوسف اسطفان، والفلاحون وقادتهم، مشكلين قوة أزاحت سلطة الدروز أثر حرب ١٨٦٠ بين الموارنة والدروز[x]

وبلغ عدد الموارنة في سوريا لعام ١٩٣٤ (٤٨٣٩) نسمة[xx] وعام ١٩٥٦ (١٩٢٩١) نسمة[xxx].





[x] د. سعد الدين إبراهيم: الملل والنحل والأعراف: هموم الأقليات في الوطن العربي مركز دراسات ابن خلدون – القاهرة ١٩٩٤ ص٧١٤ و٧١٥ مرجع سابق

[xx] F. O 371 /1236،no 47157 (6 nov 1911) ibid

[xxx] عبد العزيز العظمة: مرآة الشام / مرجع سابق ص٢٤

الكنيسة الكلدانية

كل الكلدان يشعرون أن العراق هو بلدهم الأول وانتماؤهم الأساسي هو إلى العراق وهم لا يختلفون عن الآشوريين لأنهم ينحدرون من الكلدان والبابليين والآشوريين الذين بنوا حضارة العراق القديمة قبل نحو ستة آلاف سنة، وقد هجروه بعد ما بلغ عددهم في الولايات المتحدة نحو ربع مليون نسمة [x]. وكنائسهم وجمعياتهم تقود اليوم حملة توعية لكي يسجل الكلدان والآشوريون أنفسهم بالصفة الموحدة التي دعا إليها رؤساء الدين هناك باسم (كلدو — آشور) في إحصاء الولايات المتحدة الجاري عام ٢٠٠٠.

وتعبير كلدو آشور أتى لأن الكلدان لا يختلفون عن الآشوريين والكلدانيين جنساً وثقافة وحضارة، فقد كانوا واحداً في الدين واللغة، وإن رأى بعضهم أنهم قبائل آرامية [xx]، وقد ورد لفظ الكسديين في الأسفار الآرامية من الكتاب المقدس دالة على البابليين، وأحياناً إلى حرفة متعلقة بعلم النجوم، وبهذا المعنى استعمل اللفظ في مصادر العهدين اليوناني والروماني [xxx].

وقد جاءت الكنيسة الكلدانية نتيجة مساعي الآباء اللاتين لجذب الكنائس الشرقية إلى الكثلكة، وذلك عام ١٤٤٥ في قبرص حين انتمى المطران طيموثاوس الأول ورعيته الشرقية النسطورية إلى الكرسي البابوي.

ويعتبر البابا أوجين الرابع هو من أطلق اسم (الكلدان) على الكنيسة الجديدة، وبذلك تعد هذه الكنيسة من أوائل الكنائس الشرقية التي انضمت إلى الكثلكة. ولكن أول بطريركية لها تأسست حين رسم يوحنا سولاقا بطريركاً لبطريركية بابل للكلدان عام ١٥٥٢، إلا أنه في عام ١٦٧٢ ارتدت هذه الكنيسة إلى أصلها، وما لبث بعض البطاركة أن تبعوا البابوية، كما هو

---

[x] صحيفة الحياة – لندن ٢٦ / ٤ / ١٩٩٨ ص١٣

[xx] أدون بفن: أرض النهرين ترجمة أنستانس الكرملي مطبعة المعارف – بغداد ١٩٦١ ص٤٩

[xxx] أدون بفن: أرض النهرين ترجمة أنستانس الكرملي مرجع سابق ص ٥٠

الحال في ديار بكر من أعمال تركيا عام ١٦٨١ إلى عهد البطريرك أوغسطين هندي (١٨٠٤ – ١٨٢٨) الذي لم يعترف به الكرسي البابوي. ثم بدأت سلسلة أخرى بانتخاب يوحنا الثامن هرمز الموصلي بطريركاً على الكنيسة الكلدانية. وكان مقر البطريركية في الموصل ولكنه انتقل إلى بغداد مع حلول الاستقلال.

وكما قلنا في البداية، فإن الكنيسة الكلدانية تشكل مركز الثقل الأول بين الطوائف المسيحية في العراق ولاتباعها وزنهم العلمي والمعنوي بدليل أن لها (١٨ أبرشية و٦ نيابات بطريركية: تسع أبرشيات في العراق، وثلاث في إيران، وأبرشية حلب والجزيرة في سوريا، وأبرشية بيروت في لبنان، وأبرشية القاهرة في مصر، وأبرشية ديترويت في الولايات المتحدة. أما الست نيابات فهي قي أوربا وأستراليا وكندا. كما أن لها معهداً أكليركياً مشتركاً مع السريان الكاثوليك في بغداد، ولها الرهبانية الانطونية للرجال ورهبانيتان نسائيتان) [x].

وكما هو معلوم فإن تاريخ هذه الكنيسة العريق يترافق مع تاريخ الكنيسة الآشورية بنفس الأدباء والعلماء ورجال الدين إلى أن تم الشقاق بينهم.

أما عددهم، فقد جاء في تقرير وزارة الخارجية البريطانية لعام ١٩١١ (١٧٨٠٠) نسمة في سورية عدا سنجق القدس[xx] وفي سورية بحدودها الحالية عام ١٩٣٤ كان (٣٠٤٩) نسمة[xxx] وفي عام ١٩٥٦ (٥٧٢٣) نسمة[xxxx]وفي العهد القريب قدرهم أحد المصادر بـ ٢٤٢ ألفاً في العراق[v] ويعتبر عددهم في سورية من أقل الطوائف المسيحية عدداً.



[x] سعد سعدي: معجم الشرق الأوسط دار الجيل – بيروت ص ٣٤٩ مرجع سابق

[xx] F. O 371 /1236 / no 47157 (6 nov 1911) ifid

[xxx] عبد العزيز العظمة: مرآة الشام مرجع سابق ص٢٤

[xxxx] المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٥٦ مرجع سابق ص١٩

[v] MECC Documentation center P. 16

الكنيسة السريانية الكاثوليكية

منذ القرن الخامس عشر جرت محاولات لضم السريان إلى الكثلكة، وهكذا تكثفت جهود المرسلين من فرنسيسكان وكبوشيين ويسوعيين، وبمساعيهم اتحد بالكنيسة الرومانية رؤساء الأساقفة ديونوسيوس قسطنطين (+١٦٥٠) وديونوسيوس توما (+١٦٥٣) مطرانا حلب، وقورلس عطا الله مطران دمشق (+١٦٤٦) وديونوسيوس مطران ماردين (+١٦٥٩)، وفي ٧ نيسان ١٦٤٤ انتمى الشماس أخيجان إلى الكثلكة. واعتبر عام (١٦٦٢) هو العام الرسمي لانشقاق الكنيسة السريانية الأرثوذكسية إلى الكاثوليكية أيضاً حين رسم بطرس أخيجان بطريركاً على حلب للسريان الكاثوليك (١٦٦٢ – ١٦٧٧)، وفي أيامه انضم إلى الكثلكة طيمثاوس عبد الجليل الموصلي مطران الرها وبطرس بن الشماس شاهبادين الرهاوي مطران القدس سنة ١٦٦٤ وأيضاً تسعة قسوس في حلب حيث بلغ عدد الكاثوليك ثمانمائة وأكثر.

وأخذ عدد أبناء هذه الطائفة يزداد بازدياد التحاق السريان الأرثوذكس بها، ونذكر هنا أنه في أيام البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت (١٨٧٤ – ١٨٩١) انضم إلى الكثلكة أساقفة ثلاثة وثمانية آلاف نسمة، وفي عهده أصبح الخوري يوسف داود أقليمسا (١٨٩٧) وهو من أعظم من أنجبتهم السريانية في الدراسات التاريخية واللغوية[x].

وفي عام ١٧٧٤ حاول بطريرك السريان الأثوذكس ميخائيل جروة أن يضم الكنيسة السريانية إلى الكرسي الرسولي البابوي، فأقاله مجمع طارئ للآباء من منصبه.

ولعل دخول بعض السريان إلى الكثلكة أعطى للسريانية قدراً أكبر من الاهتمام لدى المستشرقين، فقد تعرضت السريانية أم المسيحية لنكسات أدت إلى انحسارها على ما هي عليه

---

[x] المطران جورج حبيب هافوري: السريان الآراميون من أمسهم الغابر إلى يومهم الحاضر مطبعة ألف باء – الأديب دمشق ١٩٩٩ ص١٦٣

اليوم. وكانت أولى هذه النكسات وبعد استمرار السريانية كـ (لغة) البشارة مع العذراء والرسل تلامذة المسيح، ما أدى إلى دخول الثقافتين اليونانية ثم الرومانية إلى انتشار هاتين اللغتين على حساب السريانية التي كانت لغة فلسطين وسوريا وبلاد ما بين النهرين قبل المسيح بألفي عام. وبعد اجتياح اللغتين اليونانية واللاتينية للغة السريانية وانقسام السريان ما بين معتنق للمسيحية، أي سرياني، وما بين آرامي وثني، جاء المجمع الخلقدوني المسكوني عام ٤٥١ بعد الميلاد ليشكل الضربة الثانية، حيث جرى البحث في طبيعة المسيح، وبذلك أصر جزء من السريان وتمسكوا بأقوال قوريلوس الإسكندري القائل بكيان واحد وطبيعة واحدة للمسيح، وهؤلاء عرفوا بالسريان المونوفيزيين أو اليعاقبة، بينما قال الجزء الثاني بطبيعتين للمسيح، وهؤلاء عرفوا بالسريان الملكيين الذين انشق عنهم الموارنة في القرن الثامن بعد الميلاد[x].

وإلى الانشقاق الذي حصل عام ١٦٦٢ يعتبر تاريخ هذه الكنيسة هو نفسه تاريخ السريان الأرثوذكس، والتفاصيل الأخرى هي ما يذكر عن أعلامها مثل المطران يوسف داود والأب اسحق أرملة والفيكونت فيليب دى طرازي مؤسس المكتبة الوطنية اللبنانية.

انتقل الكرسي البطريركي من مكان إلى آخر، فقد أقام البطريرك أخيجان في حلب، البطريرك ميخائيل جروة أنتخب ونصب في دير الزعفران في ماردين ثم انتقل إلى لبنان — دير الشرفة. البطريرك بطرس الرهاوي أقام في حلب وكذلك البطريرك بطرس جروة. البطريرك سمحيري في ماردين (١٨٥٤). البطريرك جرجس شلحت في حلب (١٨٧٨). البطريرك هنام بني في الموصل (١٨٩٣). البطريرك افرام رحماني في بيروت (١٩١٠) وكذلك البطريرك جبرائيل بتوني والبطريرك أنطون حايك فالبطريرك داود.

يتبع الكنيسة السريانية الكاثوليكية الأبرشيات التالية:

في لبنان: أبرشية بيروت البطريركية مع زحلة وطرابلس وجونية

في سورية: أربع أبرشيات

في العراق: أبرشيتان

في مصر: أبرشية القاهرة — الإسكندرية

---

[x] صحيفة السفير — بيروت من مقابلة سعدى علوه مع بطريرك السريان الكاثوليك الجديد ١٢ / ١٠ / ٩٨ ص٧

في فلسطين: أبرشية فلسطين والأردن ومركزها القدس

في الولايات المتحدة الأمريكية مع كندا

وهناك نيابات بطريركية في تركيا والبصرة والسودان، ووكالات بطريركية في فرنســا وإيطاليا وغيرها من المناطق.

ليس هناك من رقم موثوق به أو تقريبي لعدد السريان الكاثوليك في العالم، ولكن عددهم يقل عن عدد السريان الأرثوذكس بشكل كبير. حالياً هناك في لبنان ٤٠ ألف[x]، اما في سوريا فقد كان عددهم عام ١٩٣٤ (١٢٢١١) نسمة[xx] وعام ١٩٥٦ كان (٢٠٧١٦) نسمة[xxx]





---

[x] صحيفة السفير ١٢ / ١٠ ٩٨ مرجع سابق

[xx] عبد العزيز العظمة: مرآة الشام، تاريخ دمشق مرجع سابق ص٢٤

[xxx] المجموعة الاحصائية السورية لعام ١٩٥٦ مرجع سابق ص١٩

كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك

تأسست عام ١٧٢٤ رسمياً منشقة عن الروم الأرثوذكس في الشرق (بطريركية انطاكية والإسكندرية والقدس) مقر البطريركية دمشق. اسمها الرسمي بطريركية انطاكية والإسكندرية وأورشليم للروم الكاثوليك[x]، وهي عكس سواها من الكنائس الشرقية، كاثوليكية كانت أم غير كاثوليكية، ليست كنيسة وطنية، فهي كنيسة فريدة، بالمعنى القانوني للكلمة، منتشرة في كل أنحاء الشرق الأدنى العربي، وفي عالم اغتراب آخذ بالاتساع أكثر فأكثر، وهي تمثل الكراسي الرسولية الثلاث: الإسكندرية وانطاكية وأورشليم. وتنطلق جذورها من الكرازة بالإنجيل في العالم اليوناني – الروماني، في الجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، ومن انتشار المسيحية إلى خارج حدود الإمبراطورية الرومانية. ولا ريب أن تأسيس بطريركيات الإسكندرية وانطاكيا وأورشليم (الأولى والثانية في مجمع نيقية سنة ٣٢٥، والثالثة في مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١) قد أوجدها وجعل منها كياناً إقليمياً وقانونياً. وتدين بطابعها، ككنيسة فريدة، إلى أمانتين: الأولى الإمبراطورية البيزنطية، والثانية إلى المجامع المسكونية السبعة الأولى، ولكنها لم تعرف بالملكية إلا في أواخر القرن الخامس للميلاد.

وكان من نتائج استعادة بيزنطية لانطاكيا التي لم تعمر سوى قرن واحد (٩٦٠ – ١٠٨٥) إضفاء الصبغة البيزنطية على الليترجيا، وبذلك أصبح تبني عرف وعادات ليترجيا المدينة الإمبراطورية تاما وناجزا في انطاكية في أواخر القرن الثامن. ولكن ما لم تستطع الهالة المحيطة بالعرش المسكوني أن تفعله، أي جر الكنيسة الملكية إلى الانشقاق، جاء الصليبيون يمهدون الطريق إليه. فانبرى البطاركة والأساقفة اللاتين واستولوا على سلطات وحقوق رؤساء الدين الملكيين (بقيت الإسكندرية بمعزل عن ذلك). وهكذا أخضعت الكنيسة المحلية إلى سلطة كنيسة غربية، فتوطد نوع من شرخ أو تباعد بين الكنيستين، دون أن تعمد الكنيسة الملكية إلى قطع

[x] M E CC P 17 ibid

علاقاتها بروما.

وأنهى حكم المماليك (١٢٥٠ – ١٥١٦) كل وجود افرنجي في الشرق، فقد تبدى للطوائف المسيحية حقبة صعبة جداً: اضطهادات تدمير ومذابح. ففي عهد أولئك (العبيد) المتوجين، عرفت المسيحية الارتداد إلى الوراء والتحجم الفاضح: مناطق كثيرة أرغمت على اعتناق الإسلام أو أفرغت من سكانها. ومع ذلك، صمدت فئة قليلة وتابعت أداء شهادتها للمسيح بشجاعة وأمانة، فكان من بينها المجاهرون بإيمانهم والشهداء. وجاء الفتح العثماني (١٥١٦ – ١٩١٨) فلم يكن أحسن حالاً مما سبقه، على الأقل، حتى نهاية القرن السابع عشر. وراحت تغيب، نوعاً ما، تلك النظرة إلى المسيحيين، كفئة (محمية) دون أن تزول عنهم صفة (الكفار)[x] وامتطى (الباشوات) ملء حرية العمل إزاء الرعايا المسيحيين، المحرومين من كل وسيلة قانونية للاحتجاج والدفاع.

وانقلب الشرق كله وأصبح يخضع لسلطة واحدة هي سلطة السلطان العثماني الذي عرف كيف يستفيد من الوضع القائم كل الإفادة، وأصبحت القسطنطينية، لا عاصمة سياسية لإمبراطورية ممتدة الأطراف فقط، بل أيضاً عاصمة دينية للشرق، أسوة بروما عاصمة الغرب الدينية. وطلب من البطريرك المسكوني أن يشمل بسلطانه رؤساء الدين الملكيين، فصار تثبيتهم وأحياناً انتخابهم يخضعان، من الآن فصاعداً، لسلطة الفنار، وأسرعت السلطات الكنسية في بطريركيتي الإسكندرية وأورشليم، فتهلّنت تماماً، حيث منذ سنة ١٥٣٤ حتى أيامنا هذه، لا تزال كل كراسيها الأسقفية بيد اليونانيين. وهكذا قطعت البطريركيتان كل علاقة تربطهما بروما، وسلكتا طريق الشقاق و لم تتمكن الهيلينية من بطريركية انطاكية، لأن بطاركتها كانوا ينتخبون من سكان البلاد الأصليين، الذين استطاعوا أن يحافظوا على علاقاتهم بروما. وعند وفاة البطريرك طاناس سنة ١٧٢٤ انتخب على انطاكية بطريركان، أحدهما أرثوذكسي والآخر كاثوليكي، وبقي الحال هكذا إلى اليوم.

ونهضت هذه الكنيسة بسرعة فتأسست مدرسة اكليريكية صغرى في عين تراز سنة ١٨١١ وأخرى في بيروت ١٨٦٥ وفي دمشق ١٨٧٥ وفي القدس ١٨٨٢، وهكذا سارت الكنيسة إلى الأمام وأصبح لها الكراسي البطريركية في ١- انطاكية ٢- الإسكندرية ٣-

---

[x] الأب جوزيف نصر الله: تاريخ الكنيسة الملكية منذ نشأتها حتى أيامنا   مجلة الرابطة – جونية العدد ١٢ لسنة ١٩٨٢ ص٥٣

أورشليم. والأبرشيات في سوريا أربع، وفي لبنان سبع وفي فلسطين واحدة والأردن كذلك والنيابات البطريركية موجودة في العراق والكويت.

وهناك أبرشيات في بلاد الاغتراب ترعى أبناء الطائفة الذين يزيد عددهم على عدد الموجود في الأقطار العربية وهم نشاطهم الكبير هناك، علمياً ومادياً، وبالأخص في الولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل وكندا والمكسيك وفنزويلا والأرجنتين وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا.

وتشير إحصائية تعود إلى عام ١٩٣٤ إلى أن عدد أبناء طائفة الروم الملكيين الكاثوليك في سوريا كان ٣٣٣٨٩ نسمة[x] وفي عام ١٩٥٦ كان ٦٠١٢٤ نسمة[xx] وحسب إحصاء عام لأرقام تقريبية حديثة نوعاً ما ١٩٨٧ كان عدد أبناء هذه الطائفة في سوريا ٣٥٠ ألف ولبنان ٣٠٠ ألف وفلسطين ٥٠ ألف ومصر ١٠ آلاف ودول الخليج ٦ آلاف، وقدر عددهم بـ ٧٣٦ ألف نسمة، أما في بلاد الاغتراب فكان في البرازيل والأرجنتين وباقي بلدان أميركا اللاتينية ٥٥٠ ألف وفي الولايات المتحدة الأميركية ١٢٥ ألف وكندا ٣٥ ألف وأوستراليا ٣٥ ألف وأوربا ٢٥ ألف، أي المجموع ٧٧٠ ألف[xxx] .

ولعب أبناء الطائفة دوراً فاعلاً في بعث النهضة العربية في القرن التاسع عشر، ومن هؤلاء الشيخ ناصيف اليازجي وولده إبراهيم يضاف إليهما الشاعر الكبير خليل مطران، كما أن مؤسس صحيفة الأهرام القاهرية فيليب تقلا من طائفة الروم الملكيين الكاثوليك.



---

[x] عبد العزيز العظمة مرجع سابق ص٢٤

[xx] المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٥٦ ص١٩ مرجع سابق

[xxx] دليل كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك في العالم ١٩٨٨ بيروت الطبعة الأولى ص ١٤

الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية

تاريخ الأرمن الكاثوليك هو نفس تاريخ الأرمن الأرثوذكس إلى أن بدأت حركة الكثلكة بين الأرمن في القرن الرابع عشر بوساطة الآباء الدومينيكان، وتابع ذلك الرهبان الأرمن الكاثوليك المعروفين بالمختارين الذين بدأوا يشتغلون بصنوف العلوم في البندقية وفينا في أواخر القرن الثامن عشر ولا يزالون.

ويعتبر عام ١٧٤٢ هو تاريخ ميلاد هذه الطائفة حين عيّن عليها البطريرك ابراهام ارتيسفيان كاثوليكوس الأرمن الكاثوليك لبيت كيليكيا، وكان الحدث الثاني في تاريخ هذه الطائفة هو إنشاء اكليركية لها في بزمار من لبنان عام ١٧٤٩ تحوي مخطوطات أرمنية نفيسة، وفي هذا العام توفي البطريرك الأول لها، حيث خلفه إلى الآن البطريرك الثامن عشر في سلم رئاسة هذه الطائفة.

وشكلت حركة الكثلكة بين الأرمن كثافة شديدة منذ نشأتها، ويزداد الأمر في الوقت الحالي في أرمينيا، حيث كان الحكم إبان قيام الاتحاد السوفيتي لا يشجع على الكثلكة، أما الآن فقد أظهر الكثير ممن كانوا يتظاهرون بمعتقدهم الأرثوذكسي ميلهم إلى الكثلكة، وهناك رسمياً ١٥٠ ألف أرمني كاثوليكي في أرمينيا، بينما واقع الحال، وكما يشير مسؤول في مطرانية الأرمن الكاثوليك في دمشق يتجاوزون النصف مليون.

يرأس هذه الطائفة بطريرك واحد ولها ٤٥ رعية منها ٣ أبرشيات في سوريا تتضمن ٥ رعايا و ٣ أديرة و٢٠ ألف مواطن بينهم ٧ آلاف في منطقة الجزيرة السورية و٤٥٠٠ في دمشق. وفي لبنان يماثل عددهم نفس العدد في سوريا وهم أبرشية و٩ رعايا و٨ أديرة و١١ مدرسة، أما في فلسطين والأردن فلا يتجاوز عدد رعايا هذه الطائفة في كل منهما ١٠٠ نسمة.

وتتضارب الأرقام التي ذكرناها لعدد الأرمن الكاثوليك والمستندة إلى إحصاء الكنيسة مع المراجع الأخرى، فأحد المصادر يقدر رعاياها في الشرق بـ ٣٥ ألف نسمة، ١٢ ألف في

سوريا والبقية في لبنان والعراق والقدس والأردن، وهناك أقليات في أوربا والأمريكتين[x]

وكان عدد الأرمن الكاثوليك عام ١٩١١ في سوريا ٢٣١٠٠ نسمة[xx] وفي سوريا عـــام ١٩٣٤ (١٢٤٢١) وفي دمشق لنفس العـــام ١٩٢ نســـمة[xxx] وفي عـــام ١٩٥٦ (٢٠٦٣٧) نسمة[xxxx].



---

[x] سعد سعدى: معجم الشرق الأوسط مرجع سابق ص٤٦

[xx] F. O 371 ibid

[xxx] عبد العزيز العظمة: مرآة الشام مرجع سابق ص٢٤

[xxxx] المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٥٦ مرجع سابق ص ١٩

الكنيسة البروتستانتية

البروتستانتية هي التي خرجت من الكاثوليكية في العصور الوسطى وأعطت للحضارة الأوربية الطريق إلى إقامة الحضارة العلمية.

والبروتستانت هم أتباع المذهب المسيحي الإنجيلي في البلاد العربية، وقد دخلت الأرساليات الإنجيلية لبنان في عام ١٨١٩، وبنيت أول كنيسة في بلدة حاصبيا في سفوح جبل حرمون من لبنان.

ويذكر تقرير لوزارة الخارجية البريطانية صادر عام ١٩١١ أنه كان للبعثة الإنجيلية الألمانية ٣١ شخصاً يعملون في مستشفى القديس يوحنا في بيروت ولهم ميتم ومدرسة فيها ٣٢٠ طالباً، وفي حيفا لهم مكانان لخدمة الكنيسة والتمريض من قبل ممرضات زائرات وأساتذة لروضة الأطفال، ويشترك في مستشفى القديس يوحنا أطباء إنكليز وأمريكيون وألمان، وللألمان ميتم في القدس اسمه شنليرز باسم مؤسسه، وله أرض زراعية في سهل شارون قرب الناصرة، ولهم في القدس مدارس عملية، كما لهم في بيروت وأماكن أخرى، ولهم مدرسة المعبد في حيفا وكذلك المدرسة الإنجيلية، والدانماركية لهم بعثة من ٨ أشخاص يساعدهم ١٧ سورياً بـ ٤٥٠ طالباً، ولهم مخطط لأعمال طبية وكنسية، والبروتستانت من الإنكليز (٢٠٠) ومن الامريكيين (١٥٠) في سورية يقدمون خدمات طبية في ٢٨ مدينة وعندهم أكثر من ٤٠ طبيباً وضعف العدد من الممرضات المتمرنات. وقد كانت زيارة إمبراطور ألمانيا تقوية للبروتستانت في أعين المسلمين على حساب الكاثوليك والأرثوذكس في أثناء زيارته وخطابه في دمشق. وأهمية البروتستانت تتركز في حيفا حيث هم ٥٠٠ شخص معظمهم زراعيون ولهم كنيسة ومدارس ومصحات[x] .

---

[x] F. O 371/ 1236/ no 47157 (6 nov 1911)

وشكل الإنجيليون نسبة اثنين ونصف بالمئة من المسيحيين في البلاد العربية [x]، وكان عددهم عام ١٩١١ (٢٣١٠٠) نسمة[xx] وفي عام ١٩٣٤ بلغ عددهم في سورية (٧٥٠٦) نسمة[xxx] وعددهم عام ١٩٥٦ (١٢٥٣٥) نسمة[xxxx] .

تأسست الكنيسة الإنجيلية الوطنية عام ١٨٤٧ في بيروت بمسعى الإرسالية الأمريكية الإنجيلية التي قامت بترجمة وطبع الكتاب المقدس بالعربية.

وقد تألف السينودس الإنجيلي الوطني لسوريا ولبنان عام ١٩٢٠، وتضم ألوية البروتستانت في سوريا الكنيسة الانجليكانية الأسقفية والكنيسة اللوثرية والكنيسة الأرمنية الإنجيلية التي تأسست عام ١٨٤٧[v] بالإضافة إلى الكنيسة الإنجيلية الوطنية وغيرها التي تشكل الاتحاد الإنجيلي، وعلينا أن لا ننسى الكنيسة القبطية الإنجيلية، فهي ذات نفوذ قوي في مصر.

وكان من مؤسسي الكنيسة الإنجيلية الوطنية بطرس البستاني حيث سعى منذ العام ١٨٤٧ بالاشتراك مع جماعة من الوطنيين الذين اعتنقوا المذهب الإنجيلي إلى تأسيس كنيسة انجيلية وطنية يشرف عليها ويديرها وطنيون بمعزل عن الكنيسة الإنجيلية التي كان يشرف عليها رعاة أمريكان ناطقون بالعربية حتى عام ١٨٩٠. وقد اتخذ البستاني مع رفاقه قراراً بإرسال عريضة إلى المرسلين الأمريكان العاملين بالديار الشامية يحثونهم فيها الموافقة على تأسيس كنيسة إنجيلية لها قوانينها وأنظمتها المستقلة، ولقد منحوا هذا الحق في ربيع سنة ١٨٤٨. وبالرغم من عدم اهتمام البستاني بالحصول على اية وظيفة دينية كان يعتبر ركناً من أركان عمدة الكنيسة الإنجيلية[v x] وهذا الاعتبار الكبير خوله أن يكون من بين الخطباء الذين تكلموا في حفلة تدشين البناء الجديد للكنيسة الإنجيلية في بيروت سنة ١٨٦٧[xx v]. وللبستاني كتب كثيرة وقد كتبت

---

[x] ME CC ibid
[xx] F. O 371 ibid

[xxx] عبد العزيز العظمة مرجع سابق ص٢٤
[xxxx] المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٥٦ مرجع سابق ص١٩
[v] يضم اتحاد الكنائس الأرمنية الإنجيلية في الشرق الأدنى بحسب نظامه الداخلي الكنائس في البلدان التالية:
[x v] النشرة الإسبوعية لكنيسة بيروت الإنجيلية ج١٤ ١٨٨٤ ص١٨١
[x x v] فيليب دى طرازي: تاريخ الصحافة العربية المطبعة الأدبية – بيروت ١٩١٣ الجزء الأول ص٩١

دراسات عدة عنه [x].

وأفراد الكنائس البروتستانتية في الأقطار العربية يمثلون النخب بين الطوائف المسيحية الأخرى، ولهم وزنهم العلمي والفكري على مجتمعاتهم.

ويقال إن فارس الخوري، الشخصية السياسية والعلمية السورية هو حفيد أقدم بروتستانتي سوري، وذلك حوالي سنة ١٨٣٠[xx].



[x] على سبيل المثال الكتاب القيّم الذي كتبه يوسف قزما خوري بعنوان: رجل سابق لعصره: المعلم بطرس البستاني ١٨٨٩ – ١٨٨٣ نشر المعهد الملكي للدراسات الدينيه – عمان ١٩٩٤

[xx] كوليت خوري: أوراق فارس الخوري دار طلاس - دمشق ١٩٨٩ ص٣٠

كنيسة اللاتين

بدأ النشاط التبشيري الكاثوليكي للشرق مبكراً حيث تأسست بطريركية للاتين في القدس في القرن الحادي عشر كان رعاياها في الأول من الأجانب اللاتين، وفي عام ١٢١٩ أسس الرهبان اللاتين الفرنسيسكان ثم الدومينكان كنائس شرقية خاضعة للكرسي البابوي في روما.

ثم تأسست إضافة إلى ذلك كنيسة لاتينية محضة في الشرق ليتورجية ولغة، ومع الزمن انتمى إلى هذه الكنيسة الكثير من أبناء المنطقة حتى أصبحت جزءاً من الكنائس الشرقية، و لم تعد تتميز عنهم بشيء، وخاصة بعد أن بدأت تستعمل اللغة العربية في ليتورجيتها.

وفي عام ١٨٤٧ أعيد تأسيس هذه الكنيسة في عهد البابا بيوس التاسع حيث القدس مقر البطريركية، والبطريرك كان إلى عام ١٩٨٩ لاتينياً أجنبياً إلى أن عين أول بطريرك شرقي هو البطريرك ميشيل صباح.

بين أعوام ١٧٦٢ و١٩٥٤ عيّن في سوريا نائب رسولي وتعادل درجته درجة السفير البابوي ومقره حلب، ولكن كان يتخذ من (عينطوره) مقر إقامة غير رسمي.

ومنذ عام ١٩٥٤ أصبح هناك نيابة رسولية في لبنان كان يمثلها السفير البابوي، إلى أن استلم المطران فونا بانتور عقيقي بين ١٩٦٧ – ١٩٧٣ النيابة الرسولية بدرجة مطران. وبين أعوام ١٩٥٤ – ١٩٥٦ كان هناك الأب لودفيك ليكسه وهو سوري أدار النيابة الرسولية من حلب بدون درجة مطران، فيما عين بين ١٩٥٦ – ١٩٧٣ المطران انستاش سميث، أما من عام ١٩٧٣ فكان بول نسيم وهو بدرجة مطران[x] .

ولا تتبع هذه الأبرشيات بطريركية القدس، بل إن بطريرك هذه المدينة يرأس الجلسات حين تجتمع كنائس الشرق الأوسط باعتباره أكبر الموجودين رتبة دينية.

---

[x] Annuaire 1984 , Vicariat Apostolique Latin . Alep – Syria 10 - 11

لكنيسة اللاتين ١١ أبرشية وخمسة مطارنة أو بدرجتهم. يتركز أتباعها في سوريا ولبنان وفلسطين والأردن وقبرص. ويبلغ عددهم ١١٠ آلاف نسمة[x] وكـــان عددهـــم عـــام ١٩١١ (١٠،٣٠٠)[xx] نسمة في سوريا، وفي عام ١٩٣٤ وضمن الدولة السورية كان ٣٩٢٩ نسمة وفي دمشق ٩٥ نسمة[xxx] وفي عام ١٩٥٦ (٧٠٧٩) نسمة[xxxx].





[x] MECC P. 17 ibid

[xx] F . O 371/ 1236/ ibid

[xxx] عبد العزيز العظمة مرجع سابق ص٢٤

[xxxx] المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٥٦ مرجع سابق ص١٩

المسيحية الشرقية والشخصية الإقليمية

الشخصية الإقليمية شيء أكبر من مجرد المحصلة الرياضية لخصائص وتوزيعات الإقليم إنها تتساءل أساساً عما يعطي منطقة تفردها وتميزها بين سائر المناطق وتريد أن تنفذ الحسب (روح المكان) لتستشف (عبقريته الذاتية) التي تحدد شخصيته الكامنة. وبالدور التاريخي وحده يمكن أن نتعرف على الفاعلية الإيجابية للإقليم وعلى التعبير الحر للشخصية الإقليمية.

ولقد قيل بحق إن التاريخ ظل الإنسان على الأرض بمثل ما أن الجغرافيا ظل الأرض على الزمان[x] .

ويعتبر الأنثولوجيون – على صعيد التاريخ – أول من طرح ودرس قضايا العلاقات بين شخصية الأفراد والمجتمع. فعلى سبيل المثال تنطلق روث بنديكت في (عينات من الحضارات) من افتراض أن نمطاً معيناً من الحضارة يقابله نمط معيّن من الشخصية. وقد تبين لها أن شخصية الأفراد هي إلى حد ما، ومن بعض النواحي، نتاج حضارة ومؤسسات المجتمع، وأن الشخصية الاجتماعية للفرد تتطور بحسب نموذج محدد من قبل المجتمع[xx].

ومن هنا يمكن اعتبار الدين المسيحي لسكان سوريا، كظاهرة ثقافية، دونه الظواهر الأخرى، ملبياً في الواقع، بعض حاجات الإنسان السوري، مثل الرغبة بالأمان، والتعلق بغاية ما. فقد قدم له قيماً مرجعية بررت سلوكه الاجتماعي وشكلت الدافع لهذا السلوك، كما نظم للفرد علاقة النفعية مع السماوي، مستمداً منها القوة كي يسخرها لخدمته ويخفف بها الخوف حتى يدنو من أجله.

وقد كان الدين المسيحي يتغلغل في كلية أو مجمل حياة الفرد السوري وفكره، على هذا الأساس كانت سيادته كأفق ثقافي للفرد.

---

[x] جمال حمدان: شخصية مصر كتاب الهلال – القاهرة ١٩٦١ ص٨

[xx] Henry mendore: Elements de Sociologe. Armand colin – paris 1967 P 40

فيما نرى أن الدولة العربية، بمفهومها الحديث، عندما حلت محل الدين في مناخ صراعي، حدث تنافس بين الدين والمجتمع. فالأمة عندما تكف عن الخضوع للدين، ومنـــذ أن تصبـــح القومية الهدف الأعلى وتعد الغاية الأسمى تصبح بالضرورة عدوة للدين. فهي تتطلع إلى ترويض الإنسان لتجعل منه غرضها وشأنها، وإبعاده عن الأجواء التقليدية حتى يكون لها.

مسيحيو سوريا وتمسكهم بوطنهم

يحق لسكان سوريا الكبرى أن يفاخروا ويتفاخروا بظهور المسيحية في بلادهم وبتكلـــم المسيح بلغتهم القومية القديمة التي سميت (سوريا) على اسمها ألا وهي السريانية.

وباعتبار أن هذا الدين نشأ من هنا فقد كانت جذوره عميقة بعمق آلاف السنين الـــتي أنبتته فكان الدفاع عنه، بما حمل من سمة قومية عدا الدينية مما يمكن أن تكتب عنه المجلدات.

وقد اكتسب مسيحيو سوريا صلابتهم من الدفاع عن دينهم وقوميتهم بوجه من غزاهم من خارج بلادهم وهم من نفس دينهم، وهذا توحدت الديانات في هذه المنطقة للدفاع عـــن تراب الوطن بوجه أي غاز. و لم يفرق أبناء هذه البلاد ظهور أديان وملل أخرى، فالدين هنا لله والوطن للجميع.

ذلك أن (الديانات الروحية وضعت مبادئ أساسية للحياة وإصلاحها، تتضمن التـــأكيد على النفس البشرية ذات النزعة الخيّره التي تدعو إلى العمل والمثابرة الفعالة) [x] .

وأكثر ما يتجلى هذا الأمر فيما أعطته الثقافة المسيحية إلى الثقافة الإسلامية من فلســـفة وعلم ولغة وغير ذلك مما تطرقنا إليه في ثلاثة كتب لنا• وهذا ما جعل من أبناء هذه البـــلاد لا يتصفون بالتعصب الديني المذهبي — بل بالتسامح بين طوائفهم ومحبتهم لبعضهم الآخر ســـياجاً لأوطانهم الطارئة البديلة عن وطنهم الأم سوريا.

إن المسيحية في الممارسة — أي في التاريخ، أي في العلاقات — لم تعد كياناً متجانســـاً واحداً (مونوليت) إنما هناك مسيحيون ومسيحيون آخرون ومسيحيون غيرهم. لقـــد ذهـــب

---

x ginsberg morris: Evolution and progress. Heinemann, london 1970 p 74 - 78

• السريان: قديماً وحديثاً المعهد الملكي للدراسات الدينية - عمان ١٩٩٧

السوريون والحضارة السريانية دار الحصاد - دمشق ١٩٩٨

السريانية العربية: الجذور والامتداد تحت الطبع

باحث متعمق في تاريخ المسيحية الغربية هو (شارل غينبير) في ختام كتاب له عن المسيحية – إلى أنه يبدو أن الغرب لم يفهم المسيحية قط. في حين ذهب باحث متعمق في تاريخ المسيحية المشرقية هو – ونيم سليمان – إلى أن المسيحية الحقيقية هي المسيحية التي يحفظها هؤلاء المسيحيون الأقباط (المصريون) والتي يحتاج الغرب إلى إعادة تبشيره بها[x] .

ومهما يكن، فإن التاريخ، العربي في طوله، وفي مصادره الإسلامية والكنسية على السواء لا يروي حادثة واحدة يمكن تشبيهها من قريب أو بعيد باضطهادات بيزنطية للمسيحيين السريان[xx] .

ويمكن تعليل ذلك، كما يورد الفرد بتلر، المؤلف البريطاني، أن سوريا الطبيعية كانت أكثر ميلاً إلى السريان[xxx] . ولهذا لم تنتشر العقيدة السريانية إلا في المجتمعات الآرامية – العربية – القبطية، وفي أرمينيا، وقت الإمبراطورية البيزنطية، وهي جميعاً مجتمعات كانت تسعى إلى التخلص من الحكم البيزنطي والساساني.

ولقد كان الخلاف بين إمبراطور بيزنطية ومسيحيو سوريا خلاف بين بيئتين متنافرتين، ذلك أن الإمبراطور كان يرغب في جعل الكنيسة على صورة الإمبراطورية ومثالها فيما مسيحيو سوريا كانوا يسعون إلى أن تكون كنيستهم تعبيراً عن بيئتهم هم، فكانوا يعينون لكل قبيلة مطراناً، مثلما كان لكل قبيلة شيخها.

وتنازعت سوريا في العهد البيزنطي رغبة رفض المذهب الرسمي تعبيراً عن رفض سلطان الدولة البيزنطية، ورغبت هذه في فرض مذهبها لفرض سلطانها، وهنا ظهرت طائفة من المسيحيين السوريين ارتأت أن توالى الدولة البيزنطية في مذهبها، فانضمت إلى مؤيدي مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ (ومنهم ظهرت الطائفة المارونية بعد الإسلام، أواخر القرن السابع). أما الكثرة الغالبة من العرب الآراميين والقبط، فانضموا إلى ما سمي بالمذهب اليعقوبي (السريان الأثوذكس في التسمية المعروفة اليوم) نسبة إلى يعقوب البرادعي مؤسس اكليروس اليعاقبة

---

[x] سمير كرم: مجلة المستقبل العربي – بيروت العدد ٢٦ / ٤ / ١٩٨١ ص١٠٤

[xx] فكتور سحاب: من يحمي المسيحيين العرب مجلة المستقبل العربي العدد ٣٠ ٨ / ١٩٨١

[xxx] الفرد بتلر: فتح العرب لمصر لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٤٦ ص١١١

وصديق الملك الغساني اليعقوبي الحارث بن جبلة[x] .

ولا تنظر الدراسات التاريخية إلى الفورة التاريخية التي انتابت المسيحيين العرب والآراميين والأقباط ضد بيزنطية، طوال ما يزيد على القرنين، على أنها فورة خلاف دينية نظرية حول طبيعة المسيح، بل ترى هذه الدراسات الآن، أن الخلافات الدينية لم تكن سوى أسلوب متاح للتعبير عن فوران سياسي يسعى إلى التعبير عن البيئة العربية – الآرامية القبطية ومسعاها إلى التحرر، وهذا التعبير الذي تحقق لهذه البيئة بالإسلام، فتلقفته البيئة وأسلمت إليه قيادها طائعة، فعاد إليها السلام، بعد قرون من المذابح المتعاقبة[xx] .

ولقد وقف المسيحيون السوريون مع الفتح العربي المسلم ضد الروم البيزنطيين المسيحيين: في الشام شمالاً، والعراق شرقاً، واليمن في الجنوب.

فالمسيحيون من أهل (حمص) حاربوا تحت قيادة أبي عبيدة بن الجراح (٤٠ ق. هـ – ١٨ هـ ٥٨٤ – ٦٣٩) في معركة اليرموك ضد الروم المسيحيين والجراجمة، سكان (الجرجومة) في شمال سوريا، حاربوا هم كذلك تحت قيادة حبيب بن مسلمة الفهري (٢ ق. هـ – ٤٢ هـ ٦٢٠ – ٦٦٢) وهم على مسيحيتهم ضد الروم المسيحيين[xxx].

ومن المعروف أن مسيحيي ذلك الوقت كان جلهم من السريان.

المقاومة المسيحية للصليبيين

كان الروم الأرثوذكس إبان الحكم الصليبي للبلاد السورية الأكثر عدداً بين الطوائف المسيحية المختلفة، بل إنهم كانوا أكثر بكثير من الصليبيين في كثير من مدن بلاد الشام وبخاصة مدينة إنطاكيا، التي كان معظم أفراد سكانها من أبناء هذه المنطقة، هذا إلى جانب وجود أعداد كبيرة منهم في اللاذقية. لقد أدرك أبناء هذه الطائفة مدى فداحة الخطر الذي ألحقه هم الصليبيون من جراء إقصاء كبار رجال دينهم عن مناصبهم وإحلال رجال الدين من اللاتين محلهم، وخاصة بطريركية إنطاكيا وبطريركية القدس، بالإضافة إلى حملهم على أن يؤدوا ضريبة

---

[x] الفرد بتلر مرجع سابق ص١١١

[xx] Trimingham, lohn Spencer: Christianity Among Arabs in pre – islamic times librairie du liban 1979

[xxx] محمد عمارة: الطائفية الدينية والوحدة القومية نقلاً عن أبو يوسف: كتاب الخراج ص١٣٨ و ١٣٩ طبعة القاهرة ١٣٥٢ مجلة المستقبل العربي – بيروت العدد ٣ ٩ / ١٩٧٨ ص١٠٠

العشر للكنيسة اللاتينية، إلى جانب إغفال شعائرهم الدينية في الكنائس الكبرى مما زاد من روح العداء بين الطرفين.

والمعروف أن أبناء هذه الطائفة كانوا من أصل عربي وأنهم كـــانوا يفضلـــون الحكـــم الإسلامي على سيطرة الكاثوليك الغربيين.

وليس ثمة ما يدهش إذا علمنا أن صلاح الدين الأيوبي عندما حاصر بيت المقـــدس، في العام ١١٨٧ تعهدت له الطائفة الأرثوذكسية داخل أسوار المدينة بتقديم المساعدة، وأنه تلقـــى تهاني الإمبراطور إسحاق أنجيلوس على استرداده المدينة.

وثمة دلائل أخرى طوال القرن الأول لحكم الصليبيين سوريا تدل على الكراهية المتبادلـة التي كانت قائمة بين المشرقيين والأوربيين الغربيين. وقد استفحلت هـــذه الكراهيـــة بســـبب المشكلات السياسية التي ضربت جذورها في أول اتصال بين الكســـيوس كومنـــين وأوائـــل الصليبيين، وفي النزاع العنيف الذي نشب حول الحقوق البيزنطية في إمـــارة انطاكيـــا. إلا أن المصدر الدائم والثابت لاستياء البيزنطيين يكمن في حقيقة النظر إليهم على أنهم جزء من المؤسسة الاكليركية اللاتينية، وليسوا منفصلين عنها. ولما كانوا جزءاً تابعاً فقد كان محظوراً على رجـــال الاكليروس الأرثوذكس ارتقاء المناصب العليا في سلم الكهانة. وهكذا أفسح بطريرك إنطاكيـــا الإغريقي — الذي أعيد تنصيبه في العام ١٠٩٨ — مكانه إلى خلف لاتيني في العام ١١٠٠، وهو برنار الفالنسي، ولم تعش محاولات إحياء البطريركية، وإعادتها إلى سابق عهدها طويلاً، كمـــا حدث عندما فرض ذلك عمانويل كومنين في العام ١١٥٨ بالقوة. ولم تعرف القدس اللاتينيـــة أبداً أي بطريرك أغريقي، وكان الأرثوذكس ملزمين بتقديم الطاعة ودفع العشر إلى المســـتوى الاكليري الأعلى الذي كان أجنبي الجنسية ويمارس شعائر مغايرة لهم. وأخـــيراً كـــان هـــؤلاء يتمتعون بالتسامح، إبان الحكم الإسلامي، وبحماية الإمبراطور البيزنطي لهم، لذا لم يكن لديـــهم من الحوافز لمساعدة الفرنجة في المحافظة على سيادتهم سوى القليل[x] .

كذلك شكل السريان أكثرية عددية بالنسبة لغيرهم من الطوائف المسيحية المحلية في كل من طرابلس وجبيل وبيروت وعكا أثناء الحكم الصليبي لهذه البلاد. كذلك وجدت منهم أعداد

---

[x] سميل، ر.س: فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر ترجمة محمد وليد الجلاد دار طلاس — دمشق ١٩٨٥ ص٩٤

في كل من الرها وإنطاكيا وبيت المقدس. وقد تعرض هؤلاء السريان لتدخل الصليبيين في شؤونهم الدينية، وبخاصة في تعيين رجال دينهم، كما تعرضت ثروات بعض كنائسهم لكثير من عمليات النهب والسلب التي قام بها الصليبيون، و لم ينس هؤلاء ما حل بهم تحت حكم الصليبيين بخلاف ما تمتعوا به من حرية دينية أثناء الحكم الإسلامي. ويمكن أن يقال كذلك عن طائفة النساطرة، وإن كانت لا تشكل أكثرية عددية من سكان المدن والبلاد التي خضعت للحكم الصليبي، فقد عاشوا في عداء صريح مع الصليبيين، وكانوا غير متعاونين معهم أثناء الاحتلال الصليبي لبلاد الشام، وكان السبب في ذلك راجع إلى ما لمسوه من فارق كبير في المعاملة بين المسلمين وتحت حكمهم.

وحين استرد نور الدين زنكي الرها في العام ١١٤٤ لم يكن رحيماً في معاملة الفرنجة، إلا أنه عامل السوريين من المسيحيين في منتهى الرأفة. وقد لفت المؤرخ غروسيه الانتباه إلى الموقف الذي وقفه كاتب سوري مجهول ترك مذكراته لتلك الأحداث، إذ كان زنكي في نظر الغرب اللاتيني وحشاً متعطشاً للدماء، وكان استيلاؤه على الرها مأساة كافية للتحريض على إرسال حملة صليبية ثانية. هذا الكاتب السوري المجهول استطاع أن يحفظ لنا وجهة نظر أخرى قد تكون محايدة، فهو لم يكتف بـ صف الحلم الذي كان يتحلى به زنكي إزاء المسيحيين الشرقيين ، فحسب، بل وصف أيضاً زيارته لكنائسهم وعلاقته الحميمة مع المطران اليعقوبي — السرياني. إن اللهجة التي يكتب بها أمثال هؤلاء المؤرخين لها قيمتها كبيّنة على العقلية التي تسود أذهان الناس الذين ينتمون إليهم. لقد كتب ميخائيل السوري ومواطنه المجهول مقاطع تشهد بأن اللغة المشتركة والنسب المشترك بين معظم المسيحيين السوريين والمسلمين فيها يكونان رابطة أوثق عرى من العقيدة المسيحية التي يشاركون بها الفرنجة. فقد عاش المسيحيون السوريون الأرثوذكس والمؤمنون بالطبيعة الواحدة كافة، ولقرون عدة، في ظل حكم إسلامي سمح. وكان هناك أثناء الاحتلال اللاتيني طوائف تؤمن أيمانهم سواء في الأراضي الإسلامية أو الأراضي التي تخضع للصليبيين. وكان كل منهما يشكل جزءاً من العالم الإسلامي والعالم الفرنجي من حيث الزمان والمكان. وكان من هؤلاء المسيحيين وسادتهم اللاتين روابط الإيمان المشترك إلا أنهم كانوا مشدودين إلى المسلمين بتاريخهم ولغتهم وعاداتهم[x] .

---

[x] سميل ر. س مرجع سابق ص ٩٥و٩٦

لقد أدرك أبناء كثير من الطوائف المسيحية المحلية ببلاد الشام مدى فداحة الخطر الـــذي لحقهم من جراء الغزوة الصليبية، فإذا كان الأرمن قد ساعدوا الصليبيين منذ البداية، وكانت لهم اليد الطولى في استيلاء الفرنج على إنطاكيا والرها بهدف تطلعهم إلى تحقيق نوع من الاستقلال الذاتي عن السيطرة البيزنطية والتركية[x] إلا انهم ما لبثوا أن تحققوا من أن هدف الصليبيين الأول هو الاستيلاء على بلادهم. وتشير بعض الدلائل على ندم الأرمن على ما أقدموا عليه من عمـل كان من شأنه مساندة الفرنج.

المقاومة القبطية للغرب

الكنيسة القبطية المصرية كنيسة قديمة كافحت طويلاً حتى استطاعت أن تظـل منـارة المسيحية في مصر، وقد تعرضت لاضطهادات كثيرة حتى تفل مـن عزمـها وتتخلـى عـن شخصيتها. وقد دخلت الديانة المسيحية مصر عن طريق القديس مرقص، وهو لم يكن أحـد تلاميذ المسيح الاثني عشر، وإنما كان أحد (السبعين) الذين كانوا من الأتباع المخلصين للمسيح منذ البداية تقريباً. ويقال أن القديس مرقص دخل مصر قبل العام ٦٨ ميلادية، وبشّر بالمسيحية فيها إلى أن استشهد، ثم استمر هذا الدين في الانتشار المصحوب بالاستشهاد إلى نحـو العـام ٢٨٤م، فزاد الاستشهاد كثيراً في عهد الإمبراطور الروماني دفلديانوس حتى أنشأ المسـيحيون في مصر، والذين يسمون أنفسهم أقباطاً تقويمهم الجديد المسمى (تقويم الشهداء)، والمبـني علـى الأشهر الفرعونية القديمة، والذي لا يزال مستخدماً في ريف مصر إلى الوقت الراهن.

ولهذا يرى (ريتشارد ميتشل) أن الإخوان – ويقصد الإخوان المسلمين – كانوا يـرون أنه ينبغي حماية المسلمين الشرقيين – والمسلمين كذلك – من المبشرين، وأن هذا التمييز بـين المسيحيين الغربيين منهم والشرقيين كان مهماً بالنسبة للجماعة. وهنا فحسب يمكن القول بـأن الإخوان قد شجعوا أو أيدوا الكتاب المسيحيين الذين هاجموا التحريف الغـربي – وخاصـة البروتستانتي – للتراث الأرثوذكسي والقبطي المحلي[xx].

---

[x] محمود علي السيد علي: ملامح الجانب العربي الإسلامي في المواجهة ضد الغزو الصليبي مجلة المستقبل العـربي – بـيروت ص٧ و٤٨ العدد ١٠٢ ٨ / ١٩٨٧

[xx] ميشيل، ريتشارد: أيديولوجية جماعة المسلمين الجزء الثاني: التنظيم والأيدلوجية ترجمة عبد السلام رضوان مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٧٨ ص٢٤٧

وإذا كانت الأقلية توصف بأنها الجماعة التي لها أصل عرقي ثابت، وتقاليد دينية ولغوية، وصفات تختلف بصفات واضحة عن بقية الشعب الذي تعيش فيه، على أن يكون لدى هذه الأقلية الرغبة في دوام الحفاظ على تقاليدها وصفاتها، فإن أقباط مصر لا ينطبق عليهم أي ركن من أركان هذا التعريف، لأن الأقباط ليسوا جماعة لها أصل عرقي ثابت يختلف بصفة واضحة ولا بصفة غامضة عن بقية الشعب العربي الذي يعيش فيه. بل رأوا أن مستقبلهم يكمن في مجتمع واحد مع إخوانهم المسلمين هو وادي النيل. وقد أسهم هذا المجتمع القبطي المتناثر في جميع أنحاء مصر، رغم احتفاظه — باستقلاله الداخلي — بدور ما في داخل المجتمع الإسلامي المحيط به، ولو كان دوراً محدوداً مختلفاً في بعض الأحيان[x].

إن تجذر الكنيسة القبطية بتاريخ وأرض مصر جعلها عقبة كأداء لأي غاز لها، مدافعة عن وطنيتها وشعبها، وكان لهذا التحدي الكثير من القصص.

فقد قاومت الكنيسة القبطية تغلغل المبشرين الكاثوليك واستعانت أحياناً عليهم بهذا الحاكم المملوكي أو ذاك من الذين داخلتهم الريبة في أنشطة الإرساليات الأجنبية، ثم اشتدت مقاومة الكنيسة القبطية لها عندما بدأ الضعف يدب في أوصال الدولة العثمانية، وذلك إلى الدرجة التي يمكن أن نقول معها أن تطور الكنيسة القبطية قد أخذ منذ زمن بعيد منحى مغايراً لتطور الكنائس في المشرق العربي، وان ذلك حدث تحت تأثير بعض العوامل الرئيسة:

أ — من ذلك مثلاً أن نظام الملل الذي أنشأته الدولة العثمانية للمحافظة على الخصوصيات المذهبية قد تزاوج من اتجاهات التغلغل الأوربي[xx] ولكن بينما انسحبت الامتيازات الأجنبية التي أخذتها الجاليات الأوربية من السلطات على الملل المرتبطة بكنيسة روما (لا سيما الطائفة المارونية) فلم يحدث شيء من هذا القبيل بالنسبة لأقباط مصر ولم تكن لهم امتيازات خاصة.

ب — وفيما بعد تزاوج الاستقلال الذاتي الذي حققته مصر بعد مجيء محمد علي مع رغبة الكنيسة القبطية في صد الهجمة العاتية للمبشرين البروتستانت، وخاصة

---

[x] بحر، سميرة: الأقباط في الحياة السياسية المصرية، مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة ١٩٧٩ ص٦١

[xx] كوثراني وجيه: الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي - ١٨٦٠ — ١٩٢٠ مساهمة في دراسة أصول تكوينها التاريخي معهد الإنماء العربي — بيروت ١٩٨٧ طبعة ثانية ص١٦٩

الإرساليات الأمريكية، واحتدمت المعركة بين الكنيسة القبطية والوافدين الجدد طوال النصف الثاني في القرن التاسع عشر. و لم تقدم الكنيسة القبطية مساندة في هذا الاتجاه من حاكم كالخديوي إسماعيل الذي شجع مبادراتها إلى إنشاء مدارس لمواجهة النشاط المكثف الذي بذلته الإرساليات الأمريكية في هذا الميدان، بل أن الكنيسة القبطية لن تتردد في وقت مبكر في قبول نوع من الإشراف الحكومي على مدارسها الأمر الذي صان العملية التعليمية (مع استثناءات) من أن تتحول إلى قواعد قوية للولاءات الثقافية الأجنبية كما حدث في لبنان[x] .

على أن النشاط التبشيري الواسع في أقطار الشرق العربي وما رافقه من جهود تعليمية وصحية، وبخاصة في ساحل الشام والأراضي المقدسة، توج بإقامة جامعات أمريكية في لبنان ومصر إلى جانب إنشاء المؤسسات الثقافية والإعلامية ومراكز البحوث.



[x] يوسف أبو سيف: الأقباط وحركة القومية العربية مجلة المستقبل – بيروت العدد ٣٠ ٨ / ١٩٨١ ص١٢٢

المسيحيون العرب

لا يمكن إسباغ وصفنا الحالي للجزيرة العربية بما كان قبل ألفي سـنة يـوم ظـهرت المسيحية، فبعض المصادر يعد البتراء تنتمي إليها والبعض الآخر سحب تدمر إلى دائرة تسميتها. على أن الشيء الأكيد أنه لا يمكننا أن نأخذ الجنس العربي كمعيار للبلاد العربية، (ففكرة الجنس النقي الصافي لا تخلو من المسحة الأسطورية)[x]. كما أن العرب كانوا شعباً رحالاً، قد سكن في بلاد مختلفة أثناء حياته البدوية. ففي الجاهلية رحل إلى مناطق أوسع من شبه جزيرة العـرب، فذهب إلى سوريا مثلاً (إن في يوم العنصرة كان يوجد في مدينة اورشـليم عـرب) (أعمـال الرسل: ١٢: ١).

ويقول القديس بولس إنه توجه بعد اهتدائه إلى (البلاد العربية) بين إقامتين في دمشـق. يجب هنا أيضاً ألا نخطئ فنفكر في جزيرة العرب الحاضرة. إن الرأي السائد هو أنـه اتجـه إلى الحوران والمناطق المجاورة شرق دمشق. ويذهب البعض إلى أنه ذهب إلى شبه جزيرة سيناء، وهو مشدود إليها بذكرى موسى[xx].

وانتشرت المسيحية في حوران ورن صوت الإنجيـل منـذ القـرن الثـاني، وذكـر مارديونيسيوس الإسكندراني بلاد العرب في جملة بلاد سوريا وما بين النهرين المنتصرة في رسالة كتبها إلى اسطيطانس أسقف رومية (٢٥٧+) وعد أيضا أرنوب النوميدي الكاتب (سنة ٢٩٥) الشعب العربي من الشعوب التي ذاقت حلاوة النصرانية.

ومنذ سنة ٢٤٤ لغاية ٢٤٩ كان على الكرسي الإمبراطوري مسيحي أصله عربي وهـو فيليوس زوج أوتاسيليا سفيرا. نعم من الوجهة الرسمية حذا حذو سابقيه وخلفائه. فقـد قـام بواجبات وظيفته وتصرف تصرف إمبراطور وثني. ولكنه بالرغم من ذلك لم يجحـد عقيدتـه

---

[x] الأب الدكتور حورج شحادته القنواتي: المسيحية والحضارة العربية مرجع سابق ص٤٣

[xx] الأب الدكتور حورج شحادته القنواتي: المسيحية والحضارة العربية ص٤٤

المسيحية. فعندما كان ماراً في انطاكيا يوم سبت النور سنة ٢٤٤ ذهب إلى الكنيسة ليحضر صلوات عشية الفصح مع العلم بأنه لم يكن بدون لوم. ولذا لم يقبله رئيس الجماعة الدينية (المطران بابيلاس) الذي مات فيما بعد شهيداً، إلا في وصف التائبين وبعد اعتراف خطاياه. وقد أذعن الإمبراطور لشروط المطران كما اضطرت الإمبراطورة أن تخضع لنفس الشروط[x] .

وفي منتصف المئة الثالثة، انتشرت المسيحية وتفاقمت في سوريا الشمالية ومصر وأفريقية، وبلاد الشام الوسطى والجنوبية(أي فلسطين) وكان نصف آسيا الصغرى مسيحياً، كما كانت منصوبة في بلاد الفريتين ماديين والعيلاميين وما بين النهرين، وفي فارس ومادى وبلاد الرها وأمارة حكارا، وهي الحضر في أطراف تكريت.

ويذكر البطريرك ماراغناطيوس افرام الأول برصوم[xx] نقلاً عن اوسابيوس (٨: ١٢) أن شهداء بادية الشام كانوا في شدة ديوقلطيان يقطعون بأطبار ذات حدين، وازداد انتشار النصرانية فيها في المئة الرابعة فبنيت كنائس عديدة في سائر أنحائها. وأرسلت بلادها ستة أساقفة إلى مجمع نيقية. وفي تلك الأثناء تنصر أهل (بتراء) فقال اوسابيوس في شرح الآية ١١ من الفصل ٤٢ من نبوءة اشعيا ((أننا شهدنا تحقيق هذه النبوة، وقد بنيت كنائس المسيح في أيامنا في مدينة الصخرة (بطرا) وفي ضواحيها و(بواديها الشرقية). ووجد الباحثون العصريون أطلال كنائس في عبر الأردن ترقى إلى القرون الأولى المسيحية، وكانت حدر وهي (أم قبس) كرسيا اسقفياً منذ سنة (٣٠٧) وحضر مجمع نيقية أسقفها سابينوس، وبطرس أسقف مدينة ايلة (قلعبة العقبة) في جزيرة سناء، وشهد استريوس أسقف بطرا مجمعي سرديقي عام (٣٤٣) والإسكندرية (٣٦٢) وبطرس أسقف هيب (خربة السمرة) مجمعي سلوقية وانطاكيا سنة ٣٥٩ و٣٦٣. وقال سوزمين: (تنصر خلق كثير من العرب) ولم (يعين بلادهم) قبل زمن (القيصر) واليس (٣٦٤) لماعاينوه من قداسة الرهبان والكهنة العائشين في جوارهم والمعجزات التي اجترحوها، وما سمعوه من إنذارهم، منهم قبيلة كبيرة يسمى زعيمها ضجعم. وجاء في سيرة الأنبا هيلاريون رأس نساك فلسطين أنه حوالي سنة (٣٥٠) اختط كنيسة في بلدة الخلصة في البرية جنوبي بحيرة لوط، لأهلها العرب الذين آمنوا وحادثوه بالسريانية (اللغة الشائعة يومئذٍ في فلسطين)، ولما أنذر

---

[x] الأب الدكتور جورج شحادته القنواتي: المسيحية والحضارة العربية ص٤٥

[xx] البطريرك ماراغناطيوس أفرام الأول برصوم: منارة انطاكية السريانية مرجع سابق ص٦، ٧، ٤٨

ثاوفيلس السيلاني الهندي الاريوسي في بعض بلاد اليمن، نصّر ملكها (الهدهاد؟)، وبنى ثلاث بيّع أحداها في مدينة ظفار، ولكن البيّع أسعد أباً كرب تهود حوالي أواخر المئة الرابعة، فاضطهد المسيحيين. وفي تلك الأثناء قصد القسطنطينية في بعض مصالحه شيخ كبير شريف اسمه حيّان فتنصر على المذهب الأرثوذكسي وعاد فنصر أهله وأتباعه.

وآمنت قبيلة الحارث بن كعب اليمنية الكبيرة التي تنتسب إلى مذحج إلى كهلان واحتلت نجران، فأزهر الدين المسيحي في القرن التالي في نجران التي اهتدت عن بكرة أبيها، وشيّدت كنائس فيها وفي مأرب والهجران (هجرين). وشهد القديس أفرام الملفان على استنارة اليمن بنور الإنجيل، وتبعتها حضرموت، وبشّر عبد يشوع القناني الناسك أسقف دير محراق جزيرة في اليمامة وعمّد أهلها، فذكر إيليا سماهيج (بين عمان والبحرين) سنة ٤١٠ وأسقف ديرين من جزائر البحرين سنة (٤٢٠).

وحضر مارنبوس أسقف تدمر مجمع نيقية، ويرجح أن تاؤتيم أسقف بلاد العرب الذي حضر مجمع انطاكيا عام (٣٧٣) كان أسقف عرب بادية تدمر.

ومن أشهر القبائل العربية وأعلاها كعباً وأشدها شكيمة، قبيلة تغلب من ربيعة، ومنازلها أرض الجزيرة التي سميت ديار ربيعة (نهر الخابور ونصيبين إلى سنجار). فهذه تنصرت في القرن الرابع بانذار أساقفة ما بين النهرين ونساكها، كما أثبت سوزمين أنهم اجتذبوا إلى الإيمان المسيحي جمعاً غفيراً من الفرس والعرب، بعدما أنجزوا هداية السريان أهل تلك البلاد قاطبة. وكذلك قل عن بني عقيل والنمر وبني شيبان المعروفين ببني ثعلبة، وبني بكر بن وائل ومقامهم في ديار بكر، وعبد القيس وآل ذي الجدين.

وكان فريق من قبيلتي بهراء وتنوخ قد نزل الحيرة وكان شعارهم شعار المسيحيين في أثناء محاربة شابور الثاني لهم، وغلبت ماويّة أميرة العرب في الحيرة الرومانيين في بعض الحروب، واشترطت في صلحها وتنصرها سيامة موسى الناسك أسقفاً لعشيرتها، فسامه أساقفة أرثوذكسيون كانوا في المنفى بين سنة (٣٧٣ — ٣٧٨).

أما طي ومنازلها نجد، وهي أكبر قبائل العرب وأطولها باعاً وأرقاها حضارة، وفريق تنوخ بأرض الشام، وكنده، وغسان التي نبتت في أكرم المنابت وملوكهم آل جفنة، البيت الرفيع الدعائم الذين رنّ صيتهم في الأقطار، حتى صرح مؤرخو العرب الثقات وكتبهم الأقدمون فقالوا

((إن النصرانية كانت فاشية في العرب وعليها غالبة، وخاصة في المئتين الخامسة والسادسة)).

تلك أسطر دونها البطريرك برصوم وهي من أصدق ما كتب عن هؤلاء العرب الذين اعتنقوا الديانة المسيحية. على أن دولة الغساسنة لم تكن مملكة بمعنى الكلمة وكانت عاصمتها تسمى بالسريانية (حرّنه) ومعنى الكلمة (معسكر) التي أصبحت بالعربية الحيرة، وكانت تنتقل مع الملك كما كان شأن أزمل عبد القادر في الجزائر في القرن التاسع عشر. وكان من شأن هذه المملكة أن تكون في حالة حرب دائمة. هزم اللخمي المنذر منافسه الحارث وأسر ابنه وقدمه قرباناً إلى الآلهة العزّه مما يدل على خشونة الأخلاق في تلك الأيام، ولكن قد أخذ ثأره الغساني في ٥٤٦ وهزم نهائياً عدوه سنة ٥٥٤.

ولا يخلو تاريخهم من الغموض إذ معلوماتنا الأكيده عنهم ترتفع إلى القرن السادس فقط. وقد اعتمد أكثر من رتّب أسماء أمراء الغساسنة على رواية ابن الكلبي غير أنهم تصرفوا فيها فزادوا عليها أو نقصوا منها فجاءت النتيجة قوائم متعددة مختلفة [x] .

وإذا ما اتجهنا نحو الجنوب ونزلنا باتجاه الشاطئ الشرقي للجزيرة العربية نجد أن المطرانيات النسطورية مزدهرة في البحرين وقطر وعمان. ومن الثابت أنه في عهد الملك الحميري اليهودي (ضونواس) كان هنالك مسيحيون جنوبيون عرب، ففي سنة ٥٢٣ في نجران أحرق هذا الملك عدداً من المسيحيين (بنو الحارس برقب) كما أحرق كهاناً وراهبات وأشعل النار في الكنائس.

وكانت الجماعات المسيحية مزدهرة في اليمن في آخر القرن السادس الميلادي، وظهرت آثار ذلك في أيام الخلفاء حينما اضطرت المجموعات المسيحية إلى الهجرة إلى شواطئ الفرات. وعندما احتل الفرس مكان الأثيوبيين بصورة نهائية في الجنوب العربي في أواخر القرن السادس الميلادي كانت مسيحية هؤلاء ذات طابع نسطوري وقد تسامح معها الساسانيون، وهي التي عاصرت الرسول محمد في جنوب الحجاز. والقرآن مليء بالمعتقدات المسيحية واليهودية التي كانت معروفة في الجزيرة حتى لأمكن القول إن الإسلام والمسيحية صيغتان لدين واحد هو دين التوحيد والقيامة.

وهكذا نرى أشهر القبائل العربية قد اعتنقت الديانة المسيحية قبل ظهور الإسلام مما يدل على مدى قبول الدعوة المسيحية في مناطق بعضها يقع في أقصى الجزيرة العربية إلى داخل سوريا الطبيعية.

---

[x] الأب الدكتور جورج شحانه قنواتي مرجع سابق ص٤٩

مما يفاخر به المسيحيون هو دورهم وإسهاماتهم الفكرية والعلمية واللغوية في بناء الحضارة العربية – الإسلامية مما لا لبس فيه (فقد أدى الصراع الفكري بين الطوائف المسيحية إلى الاهتمام بالفلسفة والمنطق بصورة خاصة). وقد ظل المنطق، على الدوام، المقدمة الضرورية للدراسات اللاهوتية في التعليم النسطوري كله. واعتنى النساطرة واليعاقبة السريان بالطب اليوناني والفلك والرياضيات. ولكن اهتمام السريان بالتراث اليوناني كان مقيداً بحاجات العقيدة المسيحية، فأخذوا منه ما يلائمهم، وشرحوه في ضوء عقيدتهم. ومن هنا قلة اهتمامهم بالأدب اليوناني، ملاحم ومسرحيات، والأدب التاريخي اليوناني، وعنايتهم بالمنطق، وبعدد محدود من مؤلفات أفلاطون وأرسطو وطاليس)[x].

وكان معظم الرسائل والكتب المسيحية في عصورها الأولى، باللغة اليونانية، ولهذا بقيت بعيدة عن متناول جماهير المؤمنين، وخصوصاً في القرى والأرياف. فلما ظهرت الطوائف الدينية بعد الانقسامات اللاهوتية التي حصلت في المجامع الكنسية، في نيقية وخلقدونية وغيرها، وأهم هذه الطوائف النسطورية واليعقوبية – السريان، أقبل الكهنة والعلماء السريان على لغتهم السريانية يتعهدونها بالعناية، ويطورونها ويكتبون ويؤلفون ويدرسون فيها. وكان استعمال اللغة السريانية في المدرسة والكنيسة، تأكيداً على الهوية الوطنية لهذه الطوائف في مواجهة لغة الدول اليونانية (البيزنطية، لغة الروم) ومذهبها الرسمي، ولغة الدولة الفارسية ودينها المجوسي[xx] .

وحفظ السريان أجزاء من التراث العلمي والفلسفي اليوناني، وكانوا أول نقلته إلى العربية، وقد أشعل ما قام به هؤلاء السريان وغيرهم من المسيحيين جذوة حضارة عربية – إسلامية كانت النافذة التي خرجت منها الحضارة الغربية العلمية التي تسود العالم في

---

[x] اوليري، دولاسي ايفانز: علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ترجمة وهيب كامل مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٦٢ ص٢٣

[xx] محمد توفيق حسن في كتاب: إشكالية العلامة الثقافية مع الغرب مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ١٩٩٧ ص٤٦

الوقت الحالي●.

هذا التفاعل الذي قام ما بين المسيحية والإسلام والسريان والعرب هو تفاعل متكامل أعطى لهذه المنطقة طابعها المميز، فإلى جانب القرآن، والحديث الذي يبين ما لم يرد في القرآن، التقى الفكر الإسلامي في أول الأمر بالفكر الديني المسيحي في دمشق، وبالفلسفة اليونانية في بغداد. وكانت دمشق مدينة قديمة للثقافة، كما كان التأثير اليوناني فيها قوياً. وقد استقرت المسيحية فيها من العصور الأولى ونمت فيها بسرعة، ونجد مع بعض الاستثناءات، أن الأسماء الكبيرة في تاريخ المسيحية الدمشقية ترجع إلى العصر الإسلامي، أمثال القديس سوفرونيوس والقديس أندريا الاقريطشي والقديس يحيى – يوحنا – الدمشقي، ولم تقتصر أوجه الاتصالات بين المسلمين والمسيحيين على التجارة والإدارة وحسب، بل وجدت أوجه أخرى من التبادل الديني والفكري ، وكانت هناك اقتباسات أدبية (مصطلحات في مسائل الدين والزهد) وتشابه في تصور تكوين الأشياء (مثل تصورات الجنة والنار وأساليب محاسبة النفس) وتبادلات فكرية مثمرة. وكان المتصوفون المسلمون يتحدثون مع رهبان النصارى في مسائل الدين. وهناك ابتداء من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي فصاعداً شواهد جلية، وخاصة فيما يتعلق بيوحنا الدمشقي وتلميذه ثيودور أبو قره تشير إلى قيام نشاط جدلي بين المفكرين النصارى والمسلمين. وهناك مسألتان دار حولهما النقاش أكثر من غيرهما وهما مسألة القدر ومسألة خلق القرآن. ويبدو أيضاً أن تدخل المدافعين عن المسيحية هو الذي جعل مسألة صفات الذات الإلهية موضوعاً للبحث.

إن أهم حادث في تكوين الفكر الفلسفي الإسلامي كان دون شك لقاءه بالفلسفة

● افردنا في كتابنا (السريان: قديماً وحديثاً) الصادر عن المعهد الملكي للدراسات الدينية في عمان ١٩٩٧ فصلاً كاملاً عن المؤثرات السريانية في الحضارة العربية والإسلامية من صفحة ٥٣ إلى ٨١ ومما لا يمكن إغفاله الدور الهام الذي قام به السريان في تلك الفترة من جهد علمي أوجد بداية لدراسة الطب. وعلى ما يذكر ابن العبري كان من أطباء السريان المشهورين بولص الأحانيطي، الذي عاش في أواخر القرن السابع الميلادي، وله كتاب في الطب يتضمن تسع مقالات، نقله إلى العربيه حنين بن اسحق. وكانت له شهرة عظيمة عند العرب، خصوصاً باعتباره خبيراً بعلل النساء، وحجة في الولادة، ولذلك سموه (القوابلي) أي المولدx

x ابن العبري: تاريخ عنصر الدول نشر مؤسسة منابع الثقافة الاسلامية قم – إيران ص١٧٦

اليونانية في بغداد أيام حكم الخليفة المأمون في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي. ولا بد من القول ابتداء، إن الفلسفة اليونانية التي تلقاها العرب لم تكن هي فلسفة أفلاطون وأرسطو فحسب، بل كانت أيضاً الفلسفة التي صيغت خلال عدة قرون على أيدي من واصلوا فلسفتها وشرحوها. وكان هناك إلى جانب الفلسفة الأفلاطونية وفلسفة ارسطو، الفلسفة الرواقية والفيثاغورية وقبل كل شيء الفلسفة الأفلاطونية المحدثة التي أنشأها أفلاطين وبرقلس. وقد بدت الفلسفة في صورة الحكمة الفريدة التي أسهمت كل العقول الكبيرة في تكوينها. وكان الفلاسفة المسلمون، بل حتى المفكرون المتصوفون المتأخرون، مقتنعين بذلك اقتناعاً عميقاً، لدرجة أنهم جعلوه أساس نظرتهم إلى الكون. كما كان المسيحيون وخاصة السريان في انطاكيا قد مهدوا الطريق لذلك بإضفاء الصبغة النصرانية على فقرات معينة للكتّاب القدامى أو على الأقل جعلوها أكثر قرباً للدين. وكان تكييف هذه الكتابات (لكي تتفق مع الدين) قد تم بحكمة وحذر إلى درجة أن الأمر لم يتخط مرحلة اللاهوت الطبيعي الذي يتماشى بالضبط مع ما كان يمكن للمفكرين المسلمين أن يقبلوه [x] .

والأثر والتأثر واضحين في كثير من الأوجه الأخرى في مضمار الفكر الديني، فنحن حين نتكلم عن التصوف أو مذهب الصوفية ندخل في ناحية من أروع نواحي الفكر الإسلامي بل الحضارة الإسلامية، وذلك أن كلام الكثير من الذين كتبوا يحرك نفوسنا، كما أن براعة أوصافهم تثير إعجابنا، غير أنه لا يمكن أن نكوّن فكرة حقيقية عن غزارة هذا الميدان إلا إذا تعرفنا على النصوص.

ولقد قدمت نظريات متعددة حول أصول هذه الحركة في الإسلام، فقيل إن أصلها من الرهبانية السريانية أو من الأفلاطونية المحدثة، أو الزرادشتية الفارسية أو الفيدانتا الهندية.

وهكذا غدت الشخصية العربية التي تكوّنت كشخصية متحورة في كل أفاقها حول الدين الإسلامي، هي الشخصية التي تظهر لنا في الوقت الحاضر تقليدية، كونها تكوّنت وبرزت في سياق ظهور وتطور سيادة الحضارة الإسلامية حيث شكل الدين أفقها

---

[x] جورج شحانه القنواتي: الفلسفة وعلم الكلام والتصرف في كتاب (تراث الإسلام) الجزء الثاني الطبعة الثالثة تصنيف جوزيف شاخت، كليفورد بوزورث ترجمة حسين مؤنس وإحسان صديق العمد سلسلة عالم المعرفة الكويتية رقم ٢٣٤ ص٤٧

الثقافي بالمعنى الواسع للكلمة [x] .

والحالة الطبيعية التي يؤكدها تاريخ الأمة العربية – منذ فجر الإسلام إلى سقوط دولة الخلافة العثمانية في بداية القرن العشرين (١٩٠٨) هي حالة الانسجام والارتباط بين العروبة والإسلام، بين اللغة العربية والقرآن، بين محمد ﷺ النبي العربي وبين رسالة الإسلام وآثارها. وطوال ذلك التاريخ لم تحدث حالة من الانفصام في ذلك الرباط الوثيق، بل أن التلاحم والتداخل كان هو العنصر الأساسي. وبينما كان الإسلام نقلة حضارية للعرب، كان العرب هم مادته الأولى، وهم حملة مشاعله الهادية وإنسانيته الرائدة للقوميات الأخرى، حتى صار العرب موضع إجلال وتقدير من مسلمي سائر تلك القوميات وأحبوهم لأن فيهم وبلغتهم نزل القرآن، ومنهم رسول الإسلام ﷺ [xx] .

أثر اللغة السريانية في تلاحم المسيحية العربية والإسلام

إذا كان هناك الكثير مما يمكن تناسيه عن تلاحم المسيحية العربية والإسلام، فإن تشابك اللغة السريانية مع العربية مما لا يمكن إغفاله في موضوع كتاب كهذا، ذلك أن اللغة الآرامية – السريانية (وهي إحدى لهجاتها) وبقاء المئات من الكلمات منها في لغتنا اليومية مما يعزز من روابط العروبة والإسلام الذي أخذ العربية في قرآنه الكريم.

والواقع أن الدراسات التي قامت على دراسة أثر السريانية في اللغة العربية قليلة، بل هي شحيحة، وهي اللغة التي عبرت عليها معظم العلوم اليونانية إلى لغة الضاد، وشاركهم في هذا العمل رهط من علماء الروم اليونانيين، ولا نجد فارسياً واحداً نهض بمثل هذه الخدمة الجليلة للعربية. وكان من حق السريان على لغويي العرب أن يصرفوا إلى هذه الناحية طرفاً من همتهم فلم يفعلوا، وهم الذين كانوا نازلين بين ظهرانيهم ولطبقة صالحة منهم قدم راسخة في العلم وضرب بالسهام الفائزة في أدب اللغتين.

واللغة السريانية أكبر سناً من شقيقتها العربية التي تنسب إلى اللفظة السريانية (عَرَبَا) أي

---

[x] فرحان الديك: الأساس الديني في الشخصية العربية مجلة المستقبل العربي – بيروت العدد ١٢٦ ٨ / ١٩٨٩ ص١٤١

[xx] محمود محمد الناكوع: نحو فكلر عربي إسلامي جامع مجلة المستقبل العربي – بيروت العدد ١٣٠ ١٢ / ١٩٨٩ ص٧٣

الصحراء لا إلى لفظة (عِرَب) أي عزب السريانية أيضاً كما ذهب بعض الباحثين.

ومع أن اللغة السريانية في عهد ظهور المسيح كانت في كل مكان حسب اللغة المسماة اليوم الكتابية، إلا في فلسطين وما يجاورها، فإن الانقلاب الذي حدث في اللغة البابلية إلى هذه اللغة المسماة الكتابية غير معروف، ولكن ما نعلمه هو أنه منذ ذلك العهد كانت هي وحدها اللغة السريانية الفصيحة القانونية في كل بلاد الشرق إلا عند اليهود ولهذا سميت السريانية أو الآرامية محضاً بلاقيد. وقد وصل هذا الأمر إلى اليهود أنفسهم حيث نرى أن اللغة الآرامية المكتوبة بها كتب اليهود من نحو عهد ظهور المسيح وما بعد لو كانت في جوهرها هي اللغة المسماة البابلية المكتوب بها سفر دانيال وسفر عزرا إلا أنها تقرب من وجوه شتى إلى هذه اللغة السريانية المسماة الكتابية، حتى أن أحد أسفار العهد القديم المترجمة كلها عند اليهود باللغة البابلية وهو سفر الأمثال، نرى ترجمته يقرب نصها إلى اللغة السريانية أكثر ما يكون.

والملاحظ أن هذه اللغة الكتابية لم تكن مستعملة عند المسيحيين فقط بل كان الوثنيون أيضاً يستعملونها، ففي اللغة كتب ثابت بن قره الصابئ الفيلسوف المشهور كتبه العلمية التي قرأها ابن العبري.

ومنذ عرفت اللغة السريانية الكتابية أول مرة، أي منذ القرن الأول للمسيح لم يصبها أدنى تغيير معتبر، ثم أن الأحوال التي وجدت فيها هذه اللغة منذ ذلك العهد لم تخف علينا كل الخفاء خلافاً للأزمان السابقة، فإنه إن كان المائة الأولى والثانية والثالثة لم يصل إلينا من آثارها إلا شيء يسير زهيد فالمائة الرابعة فتحت لنا العصر السعيد الذهبي لهذه اللغة (إن أهل أوربا يكنون زمان نجاح إحدى اللغات واشتهارها بالأدب بعصر الذهب) العصر الذي فيه أدب اللغة السريانية بلغ إلى أوج الكمال وظهر فيه فحول العلماء في كل فن، الذين كانوا يخدمون العلم والمدارس السريانية المشهورة في ذلك الزمان، منها مدرسة سلوق في العراق ومدرسة الرها ونصيبين[x].

بيد أن اللغة العربية أقرب إلى السريانية الحالية إلى اللغة الأم، وأكثر منها شبهاً بها، إذ بذتها باحتفاظها بكثير من العناصر اللغوية الأصلية المتحدرة إليها منها. والسبب في ذلك كما قرر الباحثون يعود إلى أن العربية عقيب انفصالها عن الأم، انزوت دهراً طويلاً في بقعة نائية عن

---

[x] المطران يوسف داود: اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية الجزء الأول مرجع سابق ص٢٠٢

العالم المعروف يومذاك، مما ساعدها على التشبيه بالأصول القديمة. حتى إذا حان وقت انتشارها العظيم مع الفتوحات الإسلامية في القرن السابع للميلاد، استطاعت أن تحتفظ بتلك العناصر الأصلية. أما السريانية الآرامية فقد تأثرت فور تفرعها عن دوحتها، بالسنة شتى العناصر التي اصطدمت بها عن طريق انتشارها الهائل. فبعد أن كانت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد لغة قبائل رُحَّل متنقل في الصحراء الواقعة غربي الفرات كقول المستشرق الفرنسي جان شابوا[x] إذا بها تصبح اللغة الرسمية لشعوب الشرق الأوسط قاطبة من فارس شرقاً إلى سوريا غرباً، ومن آشور شمالاً إلى فلسطين ومصر جنوباً. ومن هنا تطورها بل تباعدها عن أمها السامية الأصيلة. هذا مع العلم أن ما ورد منها في التوراة وفي حِكَم احيقار وزير سنحريب ملك آشور (٧٠٥ – ٦٨١ ق. م) يطابق كل المطابقة لحالتها اليوم.

ولقد خالط العرب في الجاهلية والقرون الأولى للإسلام ومن اتبع المذهب المسيحي من عرب وسريان، بدءاً من اليمن إلى نجد والحجاز ثم بلاد الشام التي كانت تمتد من عريش مصر حتى جبال طوروس ونهر الفرات، ثم العراقين العربي والعجمي، ثم بلاد فارس وخراسان، وعنهم أخذوا في عنفوان الأمر الألفاظ الخاصة بدين النصرانية وضموها إلى لغتهم، ومنها سريانية بحتة ومنها يونانية، غير أنهم بوساطة السريان وبحسب لفظهم نقلوا أكثر ما نقلوه منها، ثم أدخلوها في كتب اللغة والمعاجم عند تدوينها كما أدخلوا بعض الألفاظ اليونانية ونزراً من الحبشية والعبرية، ثم استعاروا الكلمات التي لا عهد لهم بها مما يتعلق بالزراعة والصناعة والملاحة والتجارة والعلوم وما إليها. وحيثما عاشروا الفرس أخذوا عنهم ما أخذوا مما هو معروف.

ويرى البطريرك مار أغناطيوس أفرام برصوم أن ظهور أئمة لغويين من الفرس الذين دانوا بالإسلام، وخدموا لسان العرب وأسدوا إليه بمصنفاتهم أيادٍ بيضاء مشكورة خالدة على الدهر،، دعا إلى العناية بجمع كثير من الكلمات الفارسية التي عربوها، وتجد فصلاً منها في كتاب (فقه اللغة) للثعالبي، ولم يعمد أحد من قدماء الأئمة إلى جميع الكلمات السريانية ولا اليونانية التي عربها العرب إلا نزراً يسيراً تعرض له الإمام أبو عبد الله محمد الخطيب الإسكافي المتوفى

---

[x] أورد ذلك البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث في كتابه: البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية مطبعة ألف – باء دمشق ١٩٦٩ ص١٠.

(١٠٣٠ م) في كتابه مبادئ اللغة، وأبو منصف الجواليقي البغدادي المتوفي عام (١١٤٤م) صاحب كتاب المعرّب[x] .

وقد استعان أبو الأسود الدؤلي سنة ٦٩هـ في وضع نحوه ببعض علماء اللغة السريانية في الكوفة ثم اقتبس النقاط السريانية التي تتميز بها الكلمات، فالحركات التي كان قد استنبطها قبيل ذلك العلامة مار يعقوب الرهاوي[xx]. وقد اقتبست العربية في القرن الأول قبيل الإسلام من الخط السرياني الاسطرنجيلي، أبجديتها وخطها الذي عُرف بالكوفي، فاستعمل بعدئذٍ لكتابة القرآن الكريم، شأن الأسطرنجيلي عند السريان بالنسبة إلى الإنجيل المقدس[xxx] .

وحين وصلت العربية إلى بلاد الشام مع الفاتحين والقبائل العربية، وجدت لغة البلاد الوطنية الآرامية السريانية ... بها يتكلم جمهور الناس وهم مسيحيون، ما خلا الجالية اليونانية وبها يؤلف الكتاب مصنفاتهم وبها يسبحون ربهم، فنزلت فيهم غريبة.

ويؤكد البطريرك برصوم[xxxx] أن ذلك استعذب قوم منهم سحر بيانها وتناقل عنها قوم استمساكاً بلسان لهم قديم عم فضله وشملهم أدبه فلم يهووا استبداله، حتى فرضت عليهم العرب فرضاً، فدرسها المسيحيون وألموا بها إلماماً و لم يُحكموا آدابها إلا في صدر المئة التاسعة للميلاد فصاعداً – ما عدا القبائل العربية المسيحية بني طي، وتغلب وكنده وشيبان وتميم – وظلت لغتهم السريانية تصدح بها بلابل بيعهم وبها يحبّرون تصانيفهم الدينية، وعاشت في الأرياف والجبال قروناً متطاولة، ثم تغلبت بها الأحوال بما لا يتسع المجال لبيانه، ولما تنبه الخلفاء العباسيون في صدر دولتهم إلى ضرورة نقل العلوم إلى لسانهم، لم يجدوا إلا هؤلاء المسيحيين للاضطلاع بهذه المهام الخطيرة التي أصبحت من أشد حاجات العمران، فكان لهم من حققوا آمالهم ولبوا مبتغاهم وشفوا صدورهم بنقول في شتى العلوم حتى طوقوا جيد أوطانهم منها بكل علق نفيس. وكانوا خير الهداة للأمة العربية لدخول قصور العلوم، فأجزل لهم الخلفاء والأمراء الأجواد الهبات وأفاضوا عليهم الصلات.

---

[x] البطريرك مار اغناطيوس أفرام الأول برصوم: الألفاظ السريانية في المعاجم العربية نشر المجمع العلمي العربي – دمشق ١٩٥١ ص١٠

[xx] محمد عطية الابراشي: الآداب السامية القاهرة ١٩٤٩ ص٢٠٠ و١٩٦ – ١٩٧

[xxx] البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث: البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية مرجع سابق ص١٢

[xxxx] البطريرك مار اغناطيوس أفرام الأول برصوم: الألفاظ السريانية مرجع سابق ص٤

وهكذا كان من الطبيعي أن تعم اللغة العربية في الشام والعراق وفي مصر أيضاً لما خرج العرب بالفتح إلى تلك الأقطار، فسكان الشام والعراق الساميون خرجوا كلهم من شبه جزيرة العرب، وكانت اللغة الغالبة عليهم آنذاك اللغة الآرامية – السريانية، وهي لغة سامية شقيقة العربية.

ثم أن الهجرات التي توالت على الشام والعراق في الأعصر المتأخرة حملت إليهما من شبه جزيرة العرب جماعات غفيرة من عرب الشمال وعرب الجنوب وجعلت للغة العربية في ذينك القطرين مكانة سامية وانتشاراً واسعاً. من أجل ذلك كنا نرى النابغة الذبياني وحسان بن ثابت والأعشى المشهور يتطوفون في الشام والعراق كما يطوفون في شبه جزيرة العرب نفسها ينشدون مدائحهم وخمرياتهم وغزلهم في كل مكان. وكانت اللغة العربية والحضارة العربية وأنزلت اللغة العربية فيهم مترلة اللغة الأم. أما اللغة الآرامية – السريانية فكانت في ذلك الحين قد أصبحت لغة الدين المسيحي ولغة الأدب الديني. وأما اللغة اليونانية فكانت في الشام للطبقة الحاكمة ولغة العلم اليوناني غير ذات جذور في الحياة اليومية، ولذلك انجلت عن القطر الشامي مع جلاء الجيوش الرومية عنه. ومع تعريب الدواوين في أيام عبد الملك بن مروان أمحى كل أثر للغة اليونانية في بلاد الشام[x] .

الاتجاه العروبي

كانت الجذور العربية في المسيحية السورية المحرك دائماً إلى إعطاء الكيان العربي الأولية في القضايا المصيرية. فمنذ أيام النبي والخلفاء الراشدين عاش المسيحيون العرب في أمان، وكذلك كان عهد الأمويين (٦٦١ – ٧٥٠) هادئاً بالنسبة للمسيحيين في دمشق ولكن الأمر لم يكن كذلك لدى المسيحيين المجاورين للحدود الشمالية الغربية، حيث أقام الجراجمة الذين كانوا المدافعين عن التحصينات البيزنطية ضد العرب، مما أصبح عاملاً رئيساً في إخلاء سوريا الشمالية من سكانها المسيحيين. والمعروف أن منطقة حلب شمالاً وغرباً كانت حتى ذلك الحين، من أكثر المناطق كثافة بالمسيحيين.

---

[x] د. عمر مردوخ: اللغة العربية في تاريخنا وفي الثقافة الإنسانية مجلة العلوم – بيروت أيار ١٩٦٠ السنة الخامسة – العدد الخامس ص١٠ و١٢

وفي ذلك الزمن نفسه، أي في أواخر القرن السابع ومستهل القرن الثامن، هرب باتجاه الجنوب الملكيون السريان من منطقة (أفانيا) الواقعة على نهر العاصي، والذين كانوا يجتمعون حول دير القديس مارون. هؤلاء الذين دفعهم ولاؤهم للأمويين إلى أن يرفضوا الإدارة البيزنطية، لجأوا إلى أودية جبال لبنان الشمالية واتخذوا اسم (الموارنة). وفي الفترة نفسها كان المردة – وهم جماعة من المسيحيين دعاهم المؤرخون البيزنطيون جدار المملكة الفولاذي – يقعون ضحايا الاتفاقات المعقودة بين يوستينيان الثاني والخليفة عبد الملك فهاجر من بقي منهم إلى الأراضي اليونانية.

وعبر ثمانية قرون ممتدة من فجر الخلافة العباسية (٧٥٠) حتى الفتح العثماني (١٥١٦) عرفت هذه المنطقة عدداً من الظروف الصعبة المتواترة، وكان أهمها الغزوات البيزنطية واسترداد انطاكيا لوقت محدود (٩٦٩ – ١٢٩٥) ثم هجوم المغول خلال القرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، ثم حل الحكم العثماني (١٥١٦ – ١٥١٨) فتقلب المسيحيون بين فترات الهدوء وفترات العذاب والانفجار، مما أدى إلى تجمع المسيحيين في وحدات كبيرة، أمثال دمشق وحلب والموصل وطور عابدين وجبل لبنان، وأثناء ذلك وقعت مجازر القرن التاسع عشر في لبنان وسوريا ١٨٤٠ – ١٨٤٥ – ١٨٦٠ وخلال القرن العشرين نفسه وقعت مذابح هائلة منها في تركيا من ١٩١٤ إلى ١٩٢٦ والعراق ١٩٣٣.

وهذا ما جعل المعلم بطرس البستاني (١٨١٩ – ١٨٨٣) يصدر نشرته الدورية (نفير سورية) ما بين ٢٩ أيلول ١٨٦٠ و٢٢ نيسان بصفحة واحدة يتراوح عدد الأسطر منها بين ٢٥ سطراً و٧٢ سطراً. وقد جعلها على شكل رسائل وطنية موجهة إلى أهالي البلاد من (محب للوطن) تنصح بالنصائح الصريحة المخلصة التي كان يتوخى منها شد عرى الألفة والاتحاد اللذين يتوقف عليهما نجاح المواطنين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، سائلاً الله تعالى أن يرشدهم إلى معرفة صالحهم وخير بلادهم آملاً أن يتصفحوا نشراته هذه (بروح المحبة والخلوص والبساطة بما أنه ناتج عن خلوص نية وخلوص غرض ممن شارككم في مصائبكم ويشارككم في حاسياتكم ويتألم كثيراً من النظر إلى مصائبكم)[x].

---

[x] علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨ – ١٩١٤ الأهلية للنشر والتوزيع – بيروت١٩٧٥ ص ١٢٩

وبدأت اليقظة القومية عند العرب مع بداية النهضة الفكرية العامة وكانت وليدة هـذه النهضة. وقد سبق المسيحيون العرب المسلمين منهم إلى الحس بالشعور القومي وإلى المجاهرة بالحركة القومية[x] .

ومن المعروف أنه في بداية القرن التاسع عشر دخل المذهب البروتستانتي إلى البلاد العربية، وترجم الإنجيل إلى اللغة العربية، وأخذت طوائف الروم الأرثوذكس في بلاد الشام تطالب بتعريب كنيستها. وكانت الكنائس الكاثوليكية، بما فيها الموارنة، قد استقلت عن روما وصار لها بطاركة ومطارنة من العرب، وغدت لها مدارسها العربية. وتخرّج من المعاهد التي أنشأها الإرساليات التبشيرية والطوائف المختلفة، رواد الحركة القومية العربية.

وفي عام ١٨٧٠ تساءل سليم البستاني (هل يصطلح العرب؟ هل يرد الزمان إليهم الاتحاد؟ هل يقيم لهم الدهر عزا؟ هل يكلل تاج النجاح جباههم؟ هل يطلع في سرقهم بدر العلم؟ هل تنير شمس التمدن سهوهم؟) وأجاب عن ذلك كله بقوله (إن من تصفح صفحات التاويخ، وأمعن النظر في تقلبات الزمان، وتمكن من معرفة أحوال الشعوب والدول، وبحث في أسباب ارتفاعها وهبوطها ... وقاس ما يأتي على ما فات يجيب قائلاً: إنه لا بد من أن يرجع بنا الزمان إلى الأفق الذي حجبته عنا غيوم السياسة، ودفعتنا عن صواعق القوة والانشقاق)[xx].

وعلى يد العرب المسيحيين تشكلت أولى الجمعيات السرية العربية التي نددت بالحكم التركي وطالبت باستقلال الولايات العربية عن الدولة العثمانية. إلا أن هذه الحركة اقتصرت على آسية العربية دون غيرها من البلاد العربية[xxx].

وحين عاد المفكرون العرب إلى النشاط وتنظيم الجهود وتأسيس الجمعيات والهيئات الاستقلالية، نشأت جمعية لبنانية في بيروت من أبرز أعضائها إبراهيم اليازجي وفارس نمر ويعقوب صروف، كانت أهدافها: استقلال سوريا ولبنان وتكوين دولة واحدة منهما، جعل اللغة العربية اللغة الرسمية في البلاد، اقرار الحريات الفردية في الفكر والعمل والمعتقد والسياسة، نشر العلم والمعرفة في جميع أنحاء البلاد، عدم استخدام المجندين من أبناء البلاد في منطقة أخرى.

[x] بطرس البستاني: نشرة (نفير سورية) عدد ٢ بيروت ٨ / ١٠ / ١٨٦٠ سطر ٢٨ – ٣٠

[xx] سليم البستاني: مجلة الجنان – بيروت آذار ١٨٧٠ السنة الأولى ، ج٥ ص١٣٩

[xxx] علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية مرجع سابق ص١٣٠

وعلينا أن نتذكر مادعـا إليه نجيب عازوري عام ١٩٠٤ حين كوّن جمعية في بـاريس قوامها من الطلاب العرب كان من أهدافها تحرير الولايات العربية من الحكم التركي وإقامـة دولة عربية واحدة على أساس دستوري شرحه في كتابه (يقظة الأمة العربية) عام ١٩٠٥ داعياً إلى فصل الولايات العربية عن الدولة العثمانية على أن تكون الحجاز مقراً لخلافة عربيـة وأن تكون الشام والعراق دولة عربية موحدة عصرية. ويعتبر عازوري (وهو سوري من طائفة الروم الكاثوليك) أول مفكر عربي دعا إلى بناء أمة عربية ودولة عربية على أساس حديث، أسـاس علمي وقومي وعلماني، تخطى عبد الرحمن الكواكبي الذي نادى بالخلافة العربية وصفى الدعوة العربية والنزعة القومية العربية من العناصر الدينية الإسلامية.

كما ظهر اتجاه ليبرالي علماني وراديكالي ((واشتراكي في بعض الأحيان لدى المسـيحيين السوريين، قاده مفكرون حلبيون من أمثال فرنسيس مراش، ورزق الله حسون، وتابعهم فيـه مفكرون سياسيون سوريون آخرون، من أمثال أديب اسحق، وشبلي شميل، وفرح أنطـون. وكان هذا الاتجاه يدعو إلى حكم ديمقراطي، يتساوى فيه الجميع، ويعطي لكل حسب كفاءتـه وجهده (لا حسب دينه)، ويفصل فيه الدين عن السياسة، ويقوم على العلـم الحديـث، وإلى الوطنية والقومية، ودعا بعض أتباع هذا التيار إلى الاشتراكية الإصلاحية، منهم فرنسيس مراش، وشبلي شميل، وفرح أنطون، وكان بطرس البستاني قد عمم كثيراً من آراء هذا الاتجـاه (عـدا الاشتراكية) في لبنان. ويمثل هذا الاتجاه آراء ومطامح البرجوازية السورية، وتطلع المسيحيين إلى التحرر من الاستبداد التركي)) [x].

الدين لله والوطن للجميع

عاش المسلمون والمسيحيون في هذه البلاد جنباً إلى جنب، طوال عهود مديدة في سـلم وتعاون، ونادراً في صراع ونزاع، وقد كان عليهم أن يعتمدوا لغة الحوار والتعاون سـبيلاً إلى الوصول إلى العيش المشترك، وبناء صرح المجتمع، معتمدين في حوارهـم وتعـاونهم، احـترام الخصوصيات لدى الأفراد والطوائف المختلفة.

ويورد آدم متز صفحات للتحدث عن احتفال المسلمين (بجميع الأعياد النصرانية طـوال

---

[x] د. منير موسى: الفكر العربي في العصر الحديث دار الحقيقة - بيروت ١٩٧٣ ص٢٤

العام) قائلاً (ترك المسلمون النصارى يتصرفون في أمورهم الدينية من غير تدخل، واشتركوا في الجانب الاجتماعي المسلي في تلك الأعياد، كما فعل آباؤهم من قبل، فمثلاً كانت أعياد أهل بغداد تكاد تكون نصرانية من كل وجه، وكانت أعياد القديسين في مختلف الأديرة أكثر الأعياد نصيباً من احتفال الناس، ولكن هذه الأديرة كانت لا تخلو في غير الأعياد، من الزوار الذين لا تربطهم في الدين صلة) [x] .

وهكذا فإن أهالي هذه المنطقة من حضارة واحدة وإن تعددت طوائفهم، ويصعب بل يستحيل أحياناً تحديد من هو المسلم حقاً ومن هو المسيحي حقاً.

لقد أوصى رئيس وزراء سوريا الراحل فارس الخوري بأن تقرأ آيات من القرآن والإنجيل معاً على جثمانه. وهكذا كان، والأديب جورج جرداق وضع أحد أروع الكتب عن الإمام علي، وكذلك ألف كاتب (مسيحي في بطاقة الهوية) هو نصري سلهب كتاباً قيماً عن الرسول. وهناك بعض المثقفين المسيحيين أكثر إسلاماً من بعض المسلمين في الهوية، وبالعكس، ولذلك لا مجال لتصنيف أحد من قبل أحد، أو أن يضع أحد وصايته أو وكالته على أحد [xx].

وفي الانتخابات النيابية السورية التي جرت في منتصف الخمسينات من القرن العشرين أعطت المناطق المسيحية في دمشق أكثر أصواتها للشيخ مصطفى السباعي زعيم الإخوان المسلمين، حتى أن بطريرك الروم الكاثوليك آنذاك جاهر بذلك أمام منافسه رياض المالكي. كما أعطت منطقة الميدان وبقية المناطق الإسلامية في دمشق أصواتها للدكتور عوض بركات المسيحي الأرثوذكسي أكثر مما أعطته المنطقة المسيحية، فدمشق لا تحب التعصب ... مؤمنة لا تعتبر التعصب ضرورياً للإيمان، يمكن أن تكون مؤمناً دون أن تكون متعصباً، لأن التعصب يعطل وحدة الوطن ويجعل قيادتها مهزوزة الوجود ومعرضة للأخطار، لذلك قاومت المتعصبين وأبعدتهم.

ويذكر أدوار حشوه أنه كان في استراليا أسقفاً أرثوذكسياً يدير شؤون كنيسته التي تضم العرب هناك وإلى جانب الكنيسة كان يوجد جامع للمسلمين، وحين توفي شيخ الجامع، صار

---

[x] آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري تعريب محمد عبد الهادي أبو ريده مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٦٧ ص٢٨٢

[xx] ذو الفقار قبيسي: صحيفة الكفاح العربي – بيروت ٢٦ / ٣ / ١٩٩٨ ص٢٤

أسقف دمشق يقرأ للمسلمين القرآن حتى عينوا شيخاً جديداً[x] .

وفي عام ١٩٣٧ حين جاء أحد أعضاء لجنة المراقبة الدولية إلى انطاكيا ليحقق في دعوى الأتراك سلخ لواء الاسكندرونه في سوريا وضمه إلى تركيا، اغلق الأتراك المساجد يوم الجمعة في وجوه المسلمين العرب السوريين ليمنعوهم من الصلاة والتظاهر أمام اللجنة الدولية تأكيداً لعروبة الاسكندرونه وانطاكيا، وليؤكدوا للعالم الغربي أن تركيا العلمانية جمهورية لادينية جديدة، قد تخلت عن دينها وإسلامها، وأنها صارت دولة أوربية. فما كان من النصارى العرب الأرثوذكس إلا أن فتحوا خلال ساعة واحدة من المنع التركي، كنائسهم البيزنطية الرومانية وأحالوها مساجد للمسلمين يؤدون فيها صلاة الجمعة في أعظم مهرجان وطني قومي. وصلى المسلمون لأول مرة في حياتهم صلاة الجمعة في الكنائس إلى جانب المسيحيين، ووقف خطيب المسلمين في هيكل المسيح يتلو القرآن، وصعد مؤذنهم إلى قبة الناقوس ليرفع الآذان. وكان الموقف المسيحي التلقائي والعفوي هذا، سبباً في وقوع أروع حادثة وطنية في تاريخ النضال السوري من أجل عروبة لواء الاسكندرونه، فقوت في نفس السوريين رابطة القومية والعروبة في ظل الدين الاسلامي والدين المسيحي، في العصر الذي كان يقال فيه أن الأديان تهدم القوميات[xx]

وهكذا نكتشف مع هذا العرض أن مواطني سوريا بمذاهبهم وطوائفهم، بشرياً واقتصادياً، شكلوا وحدة أعطت لهذه البلاد روحها وشخصيتها الفريدة في التاريخ.



---

[x] ادوار حشوة: دمشق .... الروح والحلم محاضرة ألقيت في كنيسة الصليب دمشق ٥ / ١٢ / ١٩٩٧ وصدرت بكراس ص٢٠

[xx] رياض نجيب الريس: انطاكيا في البال صحيفة النهار - بيروت ٣٠ / ١٢ / ١٩٩٨ ص١٥

المسيحيون السوريون: الأقلية والخصوصية

استأثر موضوع الأقليات في المشرق العربي باهتمام كبير من الدارسين، وتفاوتت تحليلاتهم بين جعل بعض القضايا العالقة بينهم وبين دولتهم قضايا ساخنة، وبين العرض العلمي لتطور هذه الأقلية ودورها في بناء الوطن ككل وليس البحث في قضايا صغيره تضعف كل الطرفين: الأقلية والوطن.

وهكذا كانت مسألة الأقليات الدينية، بشكل خاص، هي أكثر الموضوعات إثارة لأنها تتصل بالمعتقد، وهو أمر غير قابل للنقاش، والجدل حوله غير حضاري لأنه يتعلق بحرية الإيمان والتفكير. والنقص الذي تشعر به بالأمان، ينبع من الإحساس بأنها أقلية في مواجهة أغلبية، حتى لولم تكن هناك مشاكل. ولا يتجاوز شعور الأقليات عادة شعور القلق إلا في أفراد لديهم القدرة على التعامل مع الحياة العامة.

وتبحث أزمة المجتمعات المتعددة في كثير من الأحيان، من باب الأقليات الموجودة في داخلها، ويجري ذلك في سياق يغيّب مسؤولية الأكثرية ودورها. ففي إطار الأزمة القائمة اليوم في المنطقة العربية، أكانت أزمة طائفية، أم مذهبية أم أتنيه، أم ثقافية في بعض الحالات، أين مسؤولية الأكثرية، ولماذا يتراءى للبعض أن هذه الأكثرية، تظن اليوم، إن أي تمايز عنها يأتي كأنه تشكيك فيها، في حين أن بعض حقبات التاريخ العربي المضيئة شهدت لها بالرحابة الفكرية والثقافية وبقدرتها على الاحتضان والاستيعاب ضمن التعدد والتنوع [x] وبخاصة في العصر الأموي وبشكل أشمل في العصر العباسي.

ومن خصائص الأقليات السلبية، بمعنى الرغبة في الابتعاد عن الموضوعات التي تسبب المشاكل لأن لديها إحساساً بعدم توازن ميزان العدالة[xx]، ولذلك نرى أنه في حالة المواطن

---

[x] رالف غضبان في ملحق صحيفة النهار العدد ٣٠٥ ١٠ / ١ / ١٩٩٨ ص٢ مرجع سابق

[xx] بحلة روز اليوسف – القاهرة العدد ٣٣١٧ ٦ / ١ / ١٩٩٢ ص٢٣ حوار مع د. مصطفى الفقي أجراه عبد الله كمال

العادي حين يبدأ بالصفر، يكون على المواطن من الأقلية أن يبدأ من تحت الصفر في مواجهة تيارات فكرية واجتماعية معينة، وهذا ما يجعل للأقلية خاصية تتلبسها، فليس لديها ما تخسره ولهذا تتسلح دائماً بالكفاءة وتحسين الأداء، كما نجد لدى الأقليات الرغبة في البعد عن الحياة العامة، فهي تفضل غالباً الدخول في مجال الأعمال الفردية، لكن توفر المناخ الديمقراطي يشد الأقلية إلى الحياة العامة.

ذلك هو حال الأقلية المسيحية في سوريا الطبيعية ومصر مما جعلها تتلفت عبر نوافذ أوجدت لها أو أوجدتها حتى تحافظ على هويتها الثقافية وتمد أوطانها بالعلم والمعرفة، وهو ما سنعرض له.

المسيحيون ونظام الملة العثماني

على رغم المساوئ التي اتصف بها الحكم العثماني لبلاد الشام من استعمار دام أربعمائة سنة حيث حل الجهل والتجهيل في المنطقة فإن الدعوة إلى استقلال البلاد العربية أتت بشكل كبير من مسيحيي لبنان. ويؤكد طارق البشري أنه لم يكن يظهر بين العروبة والإسلام عراك، قبل منتصف القرن العشرين، إلا في بلاد الشام عندما قامت العروبة كدعوة انسلاخ عن الجامعة الإسلامية، وحتى في بلاد الشام، وفي بدايات القرن العشرين لم يكن كل العروبيين طالبي إنسلاخ، حيث بدأت غالبيتهم طالبة المساواة في إطار الدولة الإسلامية وطالبة إصلاحاً لهذه الدولة التي كانت شاخت وتهدمت قوائمها. ولا يكاد يشذ من هؤلاء إلا من أمثال نجيب عازوري. أما رواد العروبة بمعناها الاستقلالي الحميد، فلم تظهر دعوتهم كانسلاخ عن الجامعة الإسلامية إلا بعد انقلاب جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ وما جرى على أيدي الانقلابيين من تتريك للدولة وتسويد للنزعة الطورانية، فظهرت الجمعيات العربية الانفصاليه وتنامت مع تنامي حركة التتريك. ولذا فإن كان بعض هؤلاء تعاون مع الإنكليز عام ١٩١٦ تصديقاً لوعودهم، فقد انكشف لهؤلاء انخداعهم بعد ظهور سايكس — بيكو وكان من هؤلاء السيد رشيد الرضا [x].

أخضع المسيحيون في بلاد الشام لما سمي (نظام الملة العثماني لمدة ثلاثة عشر قرناً) وهو ما سمح لهم في النمو الديموغرافي. فالمسيحيون في الإسلام هم من أهل الذمة شأنهم شأن اليهود

---

[x] طارق البشري العروبة والإسلام مجلة المستقبل العربي العدد ١٣٠ ١٢ / ١٩٨٩ ص٥ و٦

والمزدكيين، وهو ما جعلهم يحظون بالحماية والأمن في دار الإسلام، حيث تمتعوا بنوع من الإدارة الذاتية الواسعة ضمنها القانون، فهم تحت الحماية من ناحية وهامشيون في الحياة الوطنية من ناحية ثانية. وحصلت قياداتهم الروحية على بعض الامتيازات أمنت لهم نوعاً من الحماية من تجاوزات الدولة وتعسفها، وكان دين الدولة الإسلام وعقلية الذمة في أساس التشريع، أو على الأقل في أساس المسلك الاجتماعي.

وقد بلغ التمييز أحياناً حدوداً قاسية جداً فاخضع المسيحيون للجزية، ولحجز حريتهم الشخصية، ولارتداء ملابس مميزة، ومنعوا من ركوب الخيل. وكان عليهم أن يتقيدوا بقانون الأحوال الشخصية الإسلامي، وكان يحق للمسلم أن يتزوج مسيحية بينما لا يحق للمسلمة أن تتزوج مسيحياً، والأولاد في الزيجات المختلطة هم حتماً مسلمون، ومنعوا أحياناً من التطواف الديني ودق الأجراس وممارسة عباداتهم جهارا [x].

ومرت السلطة العثمانية بعدة أزمات سياسية اقتضت منها، وتحت ضغط الدول الأوربية، أن تعلن عدة إصلاحات على احوال أهل الذمة كان من أهمها خط كلهانة سنة ١٨٣٩، انطلاقاً من الامتيازات التي كانت أصلاً منحا تكرم بها السلطان على الدول الصديقة، توصل الأوربيون مع الزمن إلى تحويلها حقوقاً تؤهلهم لحماية المسيحيين في الشرق، وكانت هذه الامتيازات أول خطوة جريئة لإشاعة المساواة بين رعايا الإمبراطورية، وقد طال نظام الحماية أصلاً الأجانب من قناصل وتجار وجعلهم يخضعون لقوانين بلادهم بدلاً من القوانين العثمانية.

ويروى عن السلطان محمود الثاني أنه قبل وفاته تلفظ بالعبارات التالية التي لم تكن لتسمع من قبل في تاريخ الدولة الإسلامية فقال: بعد اليوم لا أريد أن أتعرف على المسلمين إلا في الجامع، وعلى المسيحيين إلا في الكنيسة، وعلى اليهود إلا في الكنيس. وقد أعترف بالفعل خط كلهانه، الذي صدر في سنة وفاة السلطان محمود الثاني، وفي أول عهد السلطان عبد المجيد بن محمود، بالمساواة بين جميع الرعايا العثمانيين على اختلاف طوائفهم وأجناسهم.

وفي سنة ١٨٥٦ صدر الخط الهمايوني الثاني، فكرس بالقانون الامتيازات التي منحها للرعايا المسيحيين ليستقلوا في أنظمتهم الشخصية. ثم صدر دستور ١٨٧٦ – مع تزايد ضعف السلطة العثمانية – الذي ساوى بين الجميع وأقر لكل الرعايا بالحقوق الإنسانية الأساسية. كما

---

[x] جوزيف مغيزل: الإسلام والمسيحية والقومية العربية والعلمانية مجلة المستقبل العربي - بيروت ١٩٨١/٤/٢٦ ص٩٠

وزع القناصل الغربيين ألوفا من رسائل الحماية الفعلية المباشرة وادعوا الدفاع عن مصالح جميع المسيحيين. فبعد معاهدة كوتشك مثلاً عام ١٧٧٤ ادعت روسيا حماية ما لا يقل عن سبعة ملايين من رعايا السلطان جميعهم من اليونان والأرمن.

صلة المسيحية السورية بالغرب

تعود العلاقات بين مسيحيي سوريا والغرب، حسب بعض الروايات الأوربية إلى عام ٧٦٥ في أثناء حكم بيبان القصير في فرنسا، قبل شارلمان الذي تسلم مفاتيح الأماكن المقدسة في القدس[x] ويرجعها مصدر آخر إلى شارلمان، حيث أرسل له هارون الرشيد الخليفة العباسي بعثة سياسية تحمل إليه مفاتيح كنيسة القبر المقدس، حيث أنشأ الامبراطور شارلمان في القدس مأوى للعجزة وبعض منشآت دينية[xx] ثم أتت الحملات الصليبية الأولى، وكان معظمها من الفرنسيين، وأسسوا لهم ممالك لاتينية في الساحل السوري والقدس وفلسطين، وربما كانت مملكة غودفرى دوبويون في القدس، أهم هذه الإمارات التي كانت تعد انتصاراً فرنسياً بالدرجة الأولى، وفي حملة لويس التاسع يُروى أنه عندما وصل إلى عكا بعد الإفراج عنه في مصر، حيث كان أسيراً في مدينة المنصورة، أرسل برسالة إلى أمير الموارنة، مؤرخة في ٢١ أيار ١٢٥٠ جاء فيها (... أما نحن وأولئك الذين سيخلفوننا على عرش فرنسا، فإننا نجير لأنفسنا أن نوفر السموكم ولشعبكم الحماية ذاتها التي نوفرها للفرنسيين أنفسهم، كما أننا سنعمل دوماً ما ينبغي عمله لتوفير السعادة لكم)[xxx] (وقد عني لويس التاسع بالمقامات المقدسة في القدس، نفس العناية التي فعلها شارلمان، ومنها المخصصات لها)[xxxx].

وحين أتت البعثات الإرسالية، ووصل المرسلون الفرنسيون إلى سوريا ولبنان خاصة، أخذوا يؤسسون المدارس والرهبانيات، وكان أول من قدم هم الفرنسيسكان إلى فلسطين عام ١٢٢٠، ثم اليسوعيون عام ١٥٧٨، والكبوشيون عام ١٦٢٥، والعازاريون سنة ١٧٨٣، وأصبح لبنان المركز الرئيسي لنشاط الإرساليات التبشيرية الفرنسية في الإمبراطورية العثمانية، حيث استطاعوا أن يضفوا هالة عظيمة حول فرنسا[V] .

---

[x] Gordon, Helen Cameron (Ladey Russell): Syria as it is. Methuen & co. london 1939 p. 39

[xx] جان بيشون: بواعث الحرب العالمية الأولى في الشرق الأدنى ترجمة عزة دروزة بيروت ١٩٦٤ ص١٢!

[xxx] زين نور الدين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان دار النهار - بيروت ١٩٧١ ص٣١

[xxxx] د. علي سلطان: تاريخ سورية ١٩٠٨ - ١٩١٨ دار طلاس - دمشق ١٩٨٧ ص ٢١٣

V زين نور الدين زين: نشوء القومية العربية دار النهار - بيروت ١٩٦٨ ص٥١ و ٥٢

وقد فتح البابا غريغوريوس الثالث عشر أمام الطلاب اللبنانيين باب الذهاب إلى روما للدراسة فيها ومنحهم أرضاً ومساكن، ثم أنشأ لهم مدرسة خاصة عام ١٥٨٤ سماها (الكلية المارونية) — وهي مخصصة للطلبة الموارنة — وقد خرّجت أفواجاً من المثقفين اللبنانيين ومن رجال الدين الذين عادوا إلى بلادهم ونشروا فيها العلم.ومن خريجي روما الذين اطلعوا على الآداب الأجنبية وعلى الفلسفات والعلوم ممن عادوا إلى لبنان وفتحوا المدارس وعملوا في التعليم والتأليف.

إن الصلات التي قامت بين الموارنة في لبنان والغرب هي من أولى الصلات التي أعطت زخماً علمياً لكلا الطرفين، فقد كان أول أستاذ للغة السريانية في أوربا هو الخوري يوسف الذي أوفده البطريرك سمعان الحدثي إلى روما عام ١٥١٥، وأول كتاب في النحو السرياني وضع في أوربا هو الكتاب الذي ألفه اللغوي الكبير جرجس ميخائيل عميره أحد خريجي الكلية المارونية في روما.

وأول من لخص تاريخ الفلسفة الشرقية في اللغة الفرنسية هو إبراهيم الحاقلاني المنسوب إلى حاقل بلبنان. وكان الحاقلاني أستاذ اللغتين العربية والسريانية في روما وفي الكلية الملوكية بباريس، وتوفي في روما سنة ١٦٦٤ عن أربعة وستين مؤلفاً في التاريخ الشرقي والفلسفة واللغات السامية. وأول من وضع تاريخ الموارنة باللاتينية هو مرهج نمرون من بان في لبنان، وقد توفي عام ١٧١١ بعد أن شغل مركز خاله إبراهيم الحاقلاني في كلية الشابترا بروما.

وممن درسوا في الشابترا العلامة جبرائيل الصهيوني الذي ولد في أهدن عام ١٥٧٧ وتوفي في باريس عام ١٦٤٨ بعد أن كان أستاذاً في روما ثم ترجماناً للملك لويس الثالث عشر ثم أستاذاً للغات السامية في السربون وأحد المساعدين في ترجمة التوراة المتعددة اللغات، وكان من العاملين معه في ترجمة التوراة رفيقه يوحنا الحصروني.

أما الرجل الذي يصح أن يقال فيه أن حياته جاءت حلقة اتصال بين علوم الشرق وعلماء الغرب فهو يوسف سمعان السمعاني أبو العلوم الشرقية وأكبر عالم أنتجه لبنان في هذا الميدان. ولد السمعاني في طرابلس سنة ١٦٨٧ ومات في روما سنة ١٧٦٨، وقد أوفده البابا إلى سوريا مرتين لجمع مخطوطات وكتب شرقية، وعينه كليمنضوس الثاني عشر مديراً ثانياً لمكتبة الفاتيكان، فعمل على جمع المخطوطات العربية فيها ووضع لها الفهارس.

إن عدد الذين تخرجوا من (الكلية المارونية) كان على مدى السنوات الكبيرة التي انقضت ثورة بين رجال الدين الشرقيين، فقد فتحت لهم نافذة لم يكن بالمستطاع لغيرهم أن يطلوا من خلالها، اذكر من هؤلاء القس جبرائيل الصهيوني الاهدني (١٦٤٨) وإبراهيم الحاقلاني (١٦٦٤) والأب بطرس مبارك (١٧٤٧) والمطران جرمانوس فرحات (١٧٣٢٩).

المسيحيون السوريون واتجاههم للعلم

كان الباعث لفتح هذه العلاقة بين كنيسة روما والموارنة السوريين العاطفة الدينية، فهي التي حملت الأوربيين على خوض غمار الدروس الشرقية، وقد عكف الكثيرين منهم، وأخصهم الاكليركيين على هذه العلوم كي يتمكنوا من طبع كتب مختصة بالطقوس الدينية كما يمارسها أبناء الشرق، أو القيام بالحملات التبشيرية. وأول مدرسة أنشئت في هذا السبيل هي مدرسة الجمعية المقدسة لانتشار الأيمان التي أسسها البابا غريغوريوس الخامس عشر سنة ١٦٢٢وعقبتها الكلية التي شادها البابا أوربانوس الثامن سنة ١٦٢٧، وكان الغرض من كلتيهما تهذيب المرسلين وطبع الكتب للكنائس الشرقية.

ومهدت كل هذه الخطوات إلى أن يصدر المجمع الذي عقد في روما عام ١٧٣٦ أن تأتي توصياته الموجهة إلى المطارنة ورجال الدين ورؤساء الأديرة بالآتي:

إننا نأمر بأن تفتح في المدن والقرى والأديرة مدارس يتلقى فيها الصبيان العلوم، ونحث المطارنة والكهنة ورؤساء الأديرة على التعاون في سبيل تعيين المعلمين وتسجيل أسماء الصبيان القادرين على تحصيل العلم وحمل أهلهم على التوجه بهم إلى المدارس، وعلى المعلمين الذين يختارون من مدرسة روما أن يعلموا الأولاد في المدارس ويثقفوا الأهلين في القرى المجاورة.

ربما كانت هذه هي النقلة الثانية لتاريخ العرب في اتجاههم إلى العلم والتعلم، وكان أولها حين أدت الفتوحات العربية الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب إلى اتصال العرب بهؤلاء السريان والاطلاع على مدارسهم، فوجد العرب فيها ما يرضي همهم الشديد إلى العلم فأكرموا السريان وتركوا مدارسهم قائمة في انطاكيا وحران وغيرها من المدن والبلدان، إكراماً للعلم وحفظاً لأمهات الكتب الفلسفية والعلمية التي كانت بين أيديهم والتي كان عدد كبير منها من تأليفهم. ولقد أحب هؤلاء النصارى السريان العرب المسلمين حباً جماً لما تحلوا من التسامح الديني والمبالغة في إكرام العلماء واحترام رجاله فبادلوهم الإخلاص والولاء وأسهموا في نقل

العلوم اليهم حتى أثرت السريانية في اللغة العربية فاستعارت الثانية من الأولى بضع مئات من الألفاظ والمعاني المصطلحة والعبارات العلمية بعد أن صقلت بما يلائم قواعد العربية فجرت على يراع الكتاب ودخلت المعاجم العربية ومنها لفظة فاروق أي (المنقذ) التي أطلقها السريان على عمر بن الخطاب لأنه خلصهم من اضطهاد الرومان.

ويذكر د. أحمد شوكت الشطي[x] أن الأمويين ومن بعدهم العباسيين استفادوا من مدارس السريان وعلمائهم فوائد عظمى فعهدوا إليهم بترجمة الكتب من السريانية إلى العربية أو من اليونانية إلى العربية، وكانت الترجمة السريانية في كثير من الموضوعات حرفية، ثم تصرف المترجمون دون أن يضيفوا المعنى الأصيل، وهكذا لم يدع السريان كتاباً في الحكمة إلا عربوه. ولقد أدى هذا التماس بين العرب والسريان وتبادل الود والاحترام بينهم إلى أن أفتى رجال الدين من السريان النصارى بتعليم أولاد العرب المسلمين التعليم الراقي[•] وكان لهذه الفتوى في زمانهم شأن كبير حيث كانت العلوم وقفاً يورثه الأب لمن يجده أهلاً لها من أبنائه، كما كان الكهنة لا ينقلونه إلا للممتازين من أتباع دينهم.

وهكذا لعب المسيحيون في لبنان دور الممهد للنهضة العربية بعد أن لعبوا دورهم المميز في الحضارة العربية الإسلامية منذ فجرها الأول، فكان دورهم الرائد في النهضة نفسها ولا سيما عن طريق المدارس التي كان السباق في فتحها من البلدان العربية، ثم تبعته مصر وسوريا والعراق وسائر البلدان العربية. و(كانت المدارس في لبنان على نوعين أجنبية ووطنية، فالمدارس الأجنبية كانت مثل مدرسة عينطورة (١٧٣٤) واليسوعية في غزير (١٨٤٧) واللابيك (١٨٤٨) والجامعة الأمريكية (١٨٦٦) والجامعة اليسوعية (١٨٧٤). ومن المدارس الوطنية: مدرسة عين ورقة (١٧٨٩) والمدرسة الوطنية للمعلم بطرس البستاني (١٨٦٣) والبطريركية (١٨٦٥) والثلاثة أقمار (١٨٦٦) ومدرسة الإحسان للبنات (١٨٧٠) والحكمة (١٨٧٦) والمقاصد

---

[x] د. أحمد شوكت الشطي: السريان وأثرهم في الحضارة الإسلامية المجلة البطريركية — دمشق العدد الثلاثون حزيران ١٩٦٥ السنة الثالثة ص٢ و٥٥٣

[•] ربما كان لهذه الفتوى مغزاها التاريخي البعيد في وقتنا الحاضر، حيث المدارس المسيحية تستقبل نخبة الطلبة المسلمين للتزود بالعلم وإتقان اللغات الأجنبية.

الخيرية الإسلامية (١٨٨٠)[x].

ومع أن لبنان كان مفتوحاً للبعثات التبشيرية من إنكليزية وأمريكية وألمانية وفرنسية، فإن التأثير الثقافي المدعوم من الحكومة الفرنسية كان هو الظاهرة الواضحة أمام الناس. ففي معظم مدن لبنان وسوريا (بيروت، دمشق، حلب، طرابلس، زحلة) كانت البعثات التبشيرية تفتح المدارس والمؤسسات الثقافية الدينية، أو العلمانية، وأهمها الجامعة اليسوعية في بيروت. وكانت تنتشر في أنحاء البلاد مدارس كلها تعمل على نشر اللغة الفرنسية حتى بين المسلمين، ناهيك عن المسيحيين. وقد استطاعت هذه المؤسسات أن تتفوق على المؤسسات الغربية الأخرى: الأمريكية أو الإنكليزية أو الألمانية أو الروسية، وكان لها سنة ١٩١٠ أكثر من مائة مدرسة، يتعلم فيها أكثر من عشرة آلاف طالب، وكانت الروح الفرنسية تغلب على طابع التربية التي كانت كل الإرساليات تمارسه، وقد حققت نجاحاً بذلك، وكانت البعثات في البداية تقوم على تقديم الخدمات الطبية، والتبشير بالإنجيل، وهما وسيلتان متلازمتان ومؤثرتان في نفوس الكبار. أما الأطفال، فإن المدارس هي التي تستطيع أن تغرس في نفوسهم ما يريده منشئو هذه المؤسسات، حتى يستطيعوا الحصول على النتائج المأمولة في الأجيال الطالعة وأثرها الأكيدة في حياة سوريا الاجتماعية والخلقية.

وهذه المدارس والجامعات هي التي خرّجت قادة الفكر والعلم والسياسة عشرات السنين لكل الدول العربية وهو العامل الكبير في تحريك عجلة اليقظة العربية.

ولا نغفل هنا القول أن أول كتاب عربي طبع هو كتاب السواعية، أي كتاب صلاة الرهبان اليومية، وقد طبع في إيطاليا عام ١٥١٤ ثم انتقلت المطبعة إلى الآستانة في منتصف القرن السادس عشر فطبعت بالحرف العربي ولكن باللغة التركية. وفي عام ١٦١٠ دخلت لبنان مطبعة ديرقزحيا، فاستخدمت الحرف الكرشوني الذي يكتب بالسريانية ويلفظ بالعربية. إلا أن أول طباعة بالأحرف العربية كانت في حلب عام ١٧٣٤ ثم جاءت المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين عام ١٧٤٨ ومطبعة القديس جاورجيوس عام ١٧٥٣، وكانت أول صحيفتين ظهرتا في البلاد العربية هما صحيفتان فرنسيتان أصدرهما نابليون في مصر وصحيفة عربية اسمها (النفير العام)، وفي عام ١٨٢٨ أنشأ محمد علي أول صحيفة عربية هي الوقائع المصرية، إلا أن الصحافة

---

[x] جوزيف مغيزل: مجلة المستقبل العربي مرجع سابق ص ٩٢

لم تزدهر إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في لبنان، فظهرت صحيفة السلطنة لأسكندر شلهوب عام ١٨٥٧، وحديقة الأخبار لخليل الخوري ١٨٥٨ ونفير سوريا والجنة والجنينة والجنان للمعلمين بطرس وسليم البستاني ١٨٧٠ ولسان الحال لخليل رامز سركيس ١٨٧٧، ثم تلبد الجو السياسي في لبنان، فاتجه اللبنانيون إلى مصر وأسسوا هناك صحفاً ومجلات ودور للنشر ومطابع، منهم سليم وبشارة تقلا (روم كاثوليك): الأهرام ١٨٧٥ وأديب اسحق وسليم النقاش: المحروسة (١٨٨٠) وفارس نمر ويعقوب صروف: المقتطف (١٨٧٦) والمقطم (١٨٨٨) وجرجي زيدان (روم الكاثوليك): الهلال (١٨٩٢) وإبراهيم اليازجي: الضياء (١٨٩٩) وفي حلب أنشأ رزق الله حسون عام ١٨٥٥ صحيفة مرآة الأحوال.

ومن أسماء الأدباء والصحفيين والفنانين ورجال الأعمال اللبنانيين الذين هاجروا إلى مصر في عصر النهضة العربية الفنان نجيب الريحاني (ماروني) والمالي صيدناوي باشا مؤسس المحلات الكبيرة التي تحمل اسمه (روم الكاثوليك) وشاعر القطرين خليل مطران (روم كاثوليك) والفنان التشكيلي جورج صباغ (روم كاثوليك) ومارون نقاش (ماروني) والممثل بشارة واكيم (روم أرثوذكس) والروائي أنطوان يزبك والكاتبة مي زيادة (مارونية) وأنطوان الجميل (ماروني) والفيلسوف يوسف كرم (ماروني) والصحفي حبيب جاماتي (ماروني)•.

وفي ذلك يقول أحمد حسن الزيات في وصفه لدور اللبنانيين في النهضة العربية (دخلت الطباعة إلى الشرق فكان السبق للبنان في استعمالها، فقد اسس الرهبان اللبنانيون أول مطبعة في البلاد العربية، أما التمثيل بمعناه الحديث فلم تعرفه اللغة العربية إلا في أواسط القرن الماضي، وكان اللبنانيون أسبق الشرقيين إلى اقتباسه. ومما لا بد من ذكره أن الفضل في تقدم الصحافة، وفي رقي التحرير والترجمة، إنما كان للبنانيين لسبقهم إلى معرفة اللغات الأوربية، واقتبس أدباؤنا القصة من أدب الغرب، وكان أول من فعل ذلك اللبنانيون، وأن المؤرخ النابغ والقصصي المبدع

• من الذين برزوا في مصر في النصف الثاني من القرن العشرين وأصلهم لبناني المخرج هنري بركات (روم كاثوليك) والمخرج يوسف شاهين (روم كاثوليك) والمؤرخ السينمائي فريد مزاوي (روم كاثوليك) والمخرج يوسف معلوف (روم أرثوذكس) والموسيقار فؤاد الظاهري (روم كاثوليك). وفي مجال الصحافة الدكتور خليل صابات (روم كاثوليك) وفيليب جلاد رائد الصحافة الفرنسية في مصر (ماروني). وفي مجال الطب الفرعوني د. بول غليونجي (روم أرثوذكس) والأب الدكتور جورج شحاتة القنواتي المفكر المصري البارز x

x الأب رفيق جريش صحيفة الأهرام - القاهرة ١٧ / ٩ / ١٩٩٨ ص١٠

جرجي زيدان، رائد الفن القصصي التاريخي في الشرق*.

المزايا الاقتصادية لنظام الملة

كان لنظام الملة العثماني من ضمن إيجابياته إطلاق حرية العلم للمسيحيين حيث كثرت البعثات التبشيرية وفتحت المدارس وأصبح هناك أناس يجيدون لغات أجنبية ويتفهمون عقلية الغرب وهذا ما جعلهم يتمتعون بالامتيازات وخصوصاً الاقتصادية منها الممنوحة للأجانب، حيث كانت اهتمامات الدول القومية الأوربية الناشئة اقتصادية في الدرجة الأولى، وبالتالي كانت تفتش في السلطة العثمانية عن وكلاء وزبائن لتوسعها الاقتصادي مع ما يلازمه من زيادة في نفوذها السياسي.

وقد قام المسيحيون بهذا الدور، ومن شروطه الضرورية التقارب الأيديولوجي، إذ ليس من الممكن خدمة أناس طوعاً، وفي الوقت نفسه معاداتهم فكراً، وهذا ما حصل عن طريق انتشار الكثلكة التي شقت جميع الكنائس الشرقية، دون المرور على الموارنة. ويمكن لنا أن نلمس ذلك عن طريق إقامة طائفة الروم الكاثوليك. ففي إطار المنافسة في حلب مع التجار اليهود والأرمن العاملين من خلال شبكة علاقات عالمية واسعة، انشق قسم من الروم الأرثوذكس وتبنوا الكثلكة للتقرب إلى فرنسا والاستفادة من شبكة علاقاتها التجارية وهو ما جعل قسم كبير من أبناء هذه الطائفة ممن كانوا الوكلاء الوحيدون لكثير من المصانع الغربية في المنطقة العربية.

وقد كان من اشتداد حركة الكثلكة في سوريا أبان القرن السابع عشر وما بعده ما أهلهم أن يلعبوا دوراً أكبر من حجمهم الديموغرافي، فبرزوا في كافة المجالات الوطنية والقومية والعلمية والأدبية وانخرطوا في مؤسسات الحداثة، مما جعلهم – أي الكاثوليك – يعتبرون أنفسهم فرنسيين. ولا يزال هذا اللقب يكال لهم من قبل أعدائهم. وفي تقرير رفعه القنصل البريطاني العام في بيروت عام ١٩١١ يروي بعض الشيء عن هذه المؤثرات الأجنبية. جاء في تقريره (وتصادق فرنسا الكاثوليك في سوريا، مع أنها تطردهم مع كل الفئات الدينية الأخرى من فرنسا، وهي تتقرب إليهم جميعاً وتعنى بكنائسهم، وقام القنصل الفرنسي في بيروت بتلك

---

* أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية مطبعة الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٥٥ ص١١٢

الرعاية للمسيحيين والكنائس والمدارس، وزار البطريرك الماروني ويقيم معه علاقات صداقة. وهناك تنافس روسي وألماني وفرنسي في المنطقة، وإن إرسال سفينة حربية فرنسية إلى سوريا، في أثناء الحرب الإيطالية التركية لحماية المسيحيين، دليل على أن فرنسا تريد أن تلعب دوراً في سوريا وسوف تأخذ فرنسا الجانب الديني، وتناصر الموارنة على الماسونيين. وللألمان معاهد كاثوليكية في سورية كالمستشفيات والمدارس، كما تقوم روسيا برعاية الأرثوذكس وتفتح لهم المدارس والمستشفيات. ويتمثل البروتستانت في سوريا بالإنكليز والسكوتلانديين والأمريكيين والألمان والبعثات الدانماركية. والبروتستانت لا يعانون في سورية أكثر من الفئات المسيحية الأخرى في الدولة العثمانية) [x] .

وسمح هذا التوجه نحو الغرب للمسيحيين بتقبل حضارته ودراسة ثقافته، فكان الإقبال الكبير من قبل المسيحيين السوريين في التعلم لدى المدارس الأجنبية كبيراً مما أهلهم ليكونوا وسطاء بينه وبين بقية المواطنين، وهذا أدى بهم ليكونوا أبطال الحداثة في هذه المنطقة. ولكن ضمن التغيرات الحاصلة من انكفاء التيار القومي إلى الإسلامي، ومن تساؤلات صعبة ومتشابكة ومتشعبة ومتضاربة، مما يضعف الوطنية لصالح الرابطة الدينية، ويغلب الولاء الديني على الولاء الوطني، وهو مما عهده المسيحيون منذ صدر الإسلام حيث ندر ما تعرضوا له من جور سوى ممن هم ليسوا من العرب المسلمين.

وفي ذلك، لم يكن المسيحيون وسطاء للتوسع الاقتصادي العربي فقط بل لحضارته. واستمر هذا الدور لستينات القرن العشرين بعد أن فقد المسيحيون هيمنتهم السياسية وفقدوا دورهم كوسطاء حين لعبوا في القرن التاسع عشر دور الوسيط بين أوربا وسوريا، ثم بين فرنسا والداخل السوري في عهد الانتداب، إلى أن تسلموا دور الوسيط بين الغرب ودول البترول العربي في عهد الاستقلال. لكن هذا لم يدم طويلاً، فالحداثة جانبت هذه الدول وأصبح أفرادها يدرسون في أكسفورد وهارفرد والسربون ولهم درايتهم بالغرب ونظاميه الاقتصادي والمالي.

إن نظام الملل العثماني الذي كان يهدف إلى تأمين تعايش سلمي بين الفرق الدينية المختلفة تحول نقيضاً تحت تأثير الأوربيين، إذ ساهم في إبعاد المسيحيين عن بيئتهم على مختلف الأصعدة الاقتصادية والأيديولوجية والقانونية. اقتصادياً، أصبح المسيحيون جزءاً من السوق

---

[x] F . O 371 /1236 /no 47157 (6 nov 1911) ibid

الرأسمالية العالمية التي أنشأتها أوربا. وقد تقبل المسيحيون أيديولوجيا قيم الغرب ووضعوا أنفسهم قانونياً تحت حمايته، بحيث لم تبق إلا خطوة أخيرة لتحول الابتعاد عن البيئة قطيعة معها. وهذا ما حصل عندما تبنت البرجوازيات التجارية المسيحية المختلفة في القرن التاسع عشر الأيديولوجيا الأوربية القومية لتحقيق مصالحها الجديدة. وقد أدى هذا التوجه إلى انهيار السلطنة العثمانية ونشأت على حطامها دول قومية مختلفة[x] .

المسيحيون السوريون إلى أين ؟

يشعر المسيحيون المشرقيون بعد ألفي عام من مولدهم في هذه المنطقة أن عددهم ونفوذهم أخذ يقل ويتقلص، إذ تدنت نسبتهم المئوية إلى مجمل السكان في صورة مريعة في كل مكان، بل أن أعدادهم المطلقة تدنت هي الأخرى، حتى أمسى حجمهم الديموغرافي في غير بلد أقل اليوم مما كان لعقود سابقة، حتى أن البعض يقول إن ثمة ثقافة كاملة في خطر وديانة كاملة مهددة بالزوال عن منابعها، وطغيان أكثرية على أقلية، وهجرة كادت تقتلع الجذور ؟

وفي فصل (المسيحية وتعدد الطوائف) ذكرنا أرقاماً لعدد أفراد كل طائفة من الطوائف التي تتألف منها الديانة المسيحية، وأن استنتاج أرقامها الحالية يتم إذا قارناها بمجموع عدد السكان في ذاك الوقت إلى يومنا، حيث يُعرف تقديريا العدد ويمكن تخمين نسبة المهاجرين منه. وعلى سبيل المثال فإن أكثر من نصف عدد أبناء طائفة الروم الكاثوليك قد هاجروا إلى الغرب والأمريكيتين. وأكبر ضمانة في وقف الهجرة المسيحية هي في إبعاد الاستنكاف والاستبعاد والأبعاد والخوف من طغيان الأكثرية العددية، فيما إذا تعاون المسيحيون والمسلمون المنفتحون بعضهم على بعض على نشر الفكر المنفتح في الشرق السوري.

وعلى سبيل المثال: ارتد مسيحيو فلسطين كلها في نحو عام ١٩٩٢ إلى نحو من ١٧٩ ألف نفس، منهم مئة ألف تقريباً يحملون الجنسية الإسرائيلية، ويمثلون ٢،٤ بالمئة من سكان إسرائيل. ويزيد معدل الهجرة بين المسيحيين قليلاً عن مثيله بين المسلمين، ولكن الهجرة أشد فتكاً بكثير على جماعاتهم لقلة عديدها. وأظهر مثال على تقهقر حضورهم أنهم كانوا، في القدس عام ١٩٤٨ (٢٨٠٠٠) يمثلون ٢٠ في المئة من سكان المدينة وارتدوا حتى عام ١٩٩٢

---

[x] رالف غضبان في ملحق صحيفة النهار مرجع سابق ص٤

إلى أقل من ١٥٠٠٠ نسمة يمثلون ٢ بالمئة لا غير من مجموع السكان الجديد[x].

وشكل المسيحيون العراقيون منذ أربعين عاماً نسبة ٦ في المئة من مجموع عدد السكان، وهم اليوم لا يتعدون ٣ في المئة[xx]. وفي تقديرنا مثلت هجرة المسيحيين إلى خارج الدول السورية ٥٠ % للروم الكاثوليك و ٧٠% للموارنة و ٦٥% عند الآشوريين و ٣٥% عند السريان الأرثوذكس و٢٥% للروم الأرثوذكس والكلدان ٤٠%.

وعلى أي فالكل يجمع على تقلص هذه النسبة لأسباب عديدة منها الهجرة وهي التي استنفدت الكوادر العلمية والمهنية للمسيحيين، ومنها الانجاب المعقلن تجاه انفجار سكاني مريع في الجانب الآخر، كما هو حاصل بين البلدان النامية والبلدان المتقدمة● وهذا ما جعل النسب المئوية تتقلص يوماً عن يوم، مما أوجد خللاً في التركيب الديموغرافي — في لبنان على سبيل المثال.

ويدفع المسيحيون ضريبتي انتمائهم المذهبي من خلال تحضرهم، حيث مثلت نسبة عنوسة الفتيات من خلال دراسة أجريناها●● (٣٠%) ممن يسكن المدن و(١٤%) ممن يسكن الريف مع جعل حد العنوسة ٣٥ سنة، كما أن البنت المسيحية تتعلم وبالتالي فإن نسبة التوالد ستقل، وهو المتعارف عليه في كل المجتمعات حيث تتناقص نسبة ولادة البنت المتعلمة تبعاً لعلو تعليمها. والضريبة الأخرى التي يدفعها المسيحيون هي منع تعدد الزوجات وتعقيدات الطلاق مما يجعل نسبة التوالد تقل، وهي مسائل شائكة ليس من حلول سحرية لها.

هنالك مسيحيون جعلوا المشاركة المسؤولة الكاملة قاعدة فكرهم وسلوكهم، فهم لا يعتبرون أن للمسلمين عليهم سبقاً في أي مجال وطني، ثقافياً كان أم إنمائيا أو سياسياً، لا بل يعتبرون أن مسؤولية تقدم المجتمع الذي يحيون فيه — مسلميه ومسيحيه — تقع على عاتقهم كما تقع على عاتق أي مواطن واع آخر. وهذه الفئة المسيحية وإن كانت اليوم قلة من جراء الأزمات الراهنة الشائكة والمعقدة إلا أنها لم تكن دائماً كذلك، ولن تبقى كذلك، إذا عملنا معاً

---

[x] أحمد بيضون في ملحق صحيفة النهار أوقفوا هجرة المسيحيين ... مرجع سابق ص١٢

[xx] رالف غضبان في ملحق صحيفة النهار أوقفوا هجرة المسيحيين مرجع سابق ص٤

● جاء في دراسة رالف غضبان أنه في عام ١٩٤٨ كان معدل الإنجاب للمرأة المسيحية اللبنانية ٢،١ وللمرأة الشيعية ٨ أولاد x

x رالف غضبان في ملحق صحيفة النهار مرجع سابق ص٥

●● هناك ملخص عن الدراسة نشر في صحيفة الرأي — عمان ٩ / ٧ / ١٩٩٧ ص٤٢ تحت عنوان: دراسة تظهر تكاثر نسب العنوسة والطلاق في سوريا لخصها رزوق الغاوي

في سبيل ألا تبقى قلة، كما أن فعلها إلى جانب الفئات الوطنية الأخرى كبير ومثمر[x] .

ومن المهم القول إن الوجود المسيحي في هذه المنطقة، كما كان عبر قرون، هو كسب لشعوبها، لما يضيف إلى الجسم الوطني من خصائص ولما يحققه من إكثارية روحية تتضمن الانفتاح والغيرية وتعميق جذور الحرية والمساواة حيث المشاركة التي تجمع بين الأنماط التنافسية والتعاونية تكون ملازمة للفعالية وللوحدة والاستقرار، لتعزيز الفكر المنفتح على قبول التعددية احتراماً لفكر الآخر ولحريته الدينية.

إن التباين ليس عامل هدم، بل حافز حركة قائمة على التفاعل في إطار فهم عقلاني ووحدة إنسانية.



[x] جوزيف مغيزل: الاسلام والمسيحية والقومية العربية والعلمية مجلة المستقبل العربي – بيروت مرجع سابق ص٩٥

المراجع •
باللغة العربية

١- إبراهيم، المطران غريغوريوس يوحنا: مجد السريان ماراغناطيوس أفرام الأول برصوم: حياته ومؤلفاته دار ماردين ودار الرها - حلب ١٩٩٦

٢- إبراهيم، سعد الدين: الملل والنحل والأعراف مركز الدراسات الإنسانية - القاهرة ١٩٩٤

٣- أبونا، الأب البير: أدب اللغة الآرامية مطبعة ستاركو - بيروت ١٩٧١

٤- البغدادي، عبد القاهر: أصول الدين دار الكتب العلمية المصورة - بيروت ١٩٨١

٥- الأبراشي، محمد عطية: الآداب السامية القاهرة ١٩٤٩

٦- الثالث، البطريرك اغناطيوس يعقوب: البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية مطبعة ألف - باء دمشق ١٩٦٩

٧- الدبس، يوسف: تاريخ سوريا الجزء الثاني المجلد الرابع المطبعة العمومية - بيروت ١٩٠٢

٨- الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية مطبعة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩١٢ الطبعة الثانية

٩- الطهطاوي، رفاعه رافع: مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب المصرية مطبعة شركة الرغائب - القاهرة ١٩١٢ الطبعة الثانية

١٠ - القنواتي، الأب الدكتور جورج شحاته: المسيحية والحضارة العربية المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت

• حرصاً على دقة البحث فإن أي أغفال في ذكر اسم المترجم أو اسم دار النشر أو سنة الطبع في مراجع الكتاب يتحمل مسؤوليته ناشرو هذه المطبوعات.

١١- العظمة، عبد العزيز: مرآة الشام، تاريخ دمشق وأهلها منشورات رياض الريس للكتب والنشر - لندن

١٢ - العبري، ابن: تاريخ مختصر الدول نشر مؤسسة منابع الثقافية الإسلامية قم - إيران

١٣ - المحافظة، علي: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩١٤ الأهلية للنشر والتوزيع - بيروت ١٩٧٥

١٤ - بحر، سميره: الأقباط في الحياة السياسية المصرية مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٧٩

١٥- برصوم، البطريرك ماراغناطيوس افرام الأول: الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة طبعة حمص

١٦ - برصوم، البطريرك ماراغناطيوس افرام الأول: منارة انطاكية السريانية دار الرها - حلب ١٩٩٢

١٧ - برصوم، البطريرك ماراغناطيوس افرام الأول : الألفاظ السريانية في المعاجم العربية نشر المجمع العلمي العربي - دمشق ١٩٥١

١٨ - رباط، دكتورادمون: المشرق المسيحي قبل الإسلام منشورات الجامعة اللبنانية - بيروت ١٩٨٠

١٩ - حسين، محمد توفيق: إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ١٩٩٧

٢٠ - حمدان، جمال: شخصية مصر كتاب الهلال - القاهرة ١٩٦١

٢١- خوري، كوليت: أوراق فارس الخوري درا طلاس - دمشق ١٩٨٩

٢٢- خوري، يوسف قزما: رجل سابق لعصره المعلم بطرس البستاني ١٨١٩ - ١٨٨٣ المعهد الملكي للدراسات الدينية - عمان ١٩٩٤

٢٣- داود، المطران يوسف: كتاب القصارى المطبعة الأدبية - بيروت ١٨٨٧

٢٤ - داود، المطران يوسف: اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية جزأن طبع في دير الآباء الدومنكيين - الموصل ١٨٩٨

٢٥- زين، نور الدين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان دار النهار - بيروت ١٩٧١

٢٦- زين، نور الدين زين: نشوء القومية العربية - دار النهار - بيروت ١٩٦٨

٢٧- ساكا، المطران اسحق: كنيستي السريانية الجزء الأول مطابع ألف - باء دمشق ١٩٨٥

٢٨ - سعدي، سعد: معجم الشرق الأوسط دار الجيل - بيروت ١٩٩٨

٢٩- سلطان، دكتور علي: تاريخ سورية ١٩٠٨ - ١٩١٨ دار طلاس - دمشق ١٩٨٧

٣٠ - صليبي، دكتور كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ترجمة عفيف الرزاز الطبعة الثانية مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت ١٩٨٦

٣١- ضو، الأب بطرس: تاريخ الموارنة المجلد الأول بيروت ١٩٧٠

٣٢ - طرازي، فيليب دى: تاريخ الصحافة العربية المطبعة الأدبية - بيروت ١٩١٣ الجزء الأول

٣٣- طلال، الحسن بن: المسيحية في العالم العربي المعهد الملكي للدراسات الدينية - عمان ١٩٩٥

٣٤- عبده، سمير: السريان قديماً وحديثاً المعهد الملكي للدراسات الدينية - عمان ١٩٩٧

٣٥ - كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ - ١٩٢٠ مساهمة في دراسة أصول تكونها التاريخي معهد الانماء العربي - بيروت ١٩٧٨ طبعة ثانية

٣٦- محافظة، علي: الفكر السياسي في فلسطين ١٩١٨ - ١٩٤٨ مركز المكتب الأردني - عمان ١٩٨٩

٣٧ - موسى، د. منير: الفكر العربي في العصر الحديث دار الحقيقة - بيروت ١٩٧٣

٣٨ – نصري، عبد الهادي: شمس آرام شمس العرب مطبعة الإحسان – حلب ١٩٨٦

٣٩ – نخبة من الأساتذة: قاموس الكتاب المقدس مكتبة المشعل – بيروت الطبعة السادسة ١٩٨١

٤٠ – هافوري، المطران جورج حبيب: السريان الآراميون في أسهم الغابر إلى يومهم الحاضر مطبعة ألف باء – دمشق ١٥/٠٩/١٩٩٩

٤١ – يونس، د. الفاروق زكي في تقديمه لكتاب: نظرية الثقافة تاليف مجموعة من الكتاب سلسلة عالم المعرفة الكويتية رقم ٢٢٣

« كتب مترجمة للعربية »

٤٢ – أوليري، دولاسي ايفانز: علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ترجمة وهيب كامل مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٦٢

٤٣ – بتلر، الفرد: فتح العرب لمصر لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٤٦

٤٤ – بفن، أدون: أرض النهرين ترجمة أنستاس الكرملي مطبعة المعارف – بغداد ١٩٦١

٤٥ – بيرت، سيريل: علم النفس الديني ترجمة سمير عبده دار الآفاق الجديدة – بيروت ١٩٨٥

٤٦ – بيشون، جان : بواعث الحرب العالمية الأولى في الشرق الأدنى ترجمة محمد عزة دروزة بيروت ١٩٦٤

٤٧ – جب، هاملتون: دراسات في حضارة الإسلام ترجمة إحسان عباس، د. محمد نجم، د. محمود زايد دار العلم للملايين – بيروت ١٩٦٤

٤٨ – سميل، ر.س: فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر ترجمة محمد وليد الجلاد دار طلاس – دمشق ١٩٨٥

٤٩ – شاخت، جوزيف وبوزورث، كليفورد (تصنيف): تراث الإسلام الجزء الثاني الطبعة الثالثة ترجمة حسين مؤنس وإحسان صديق العمد فصل:

الفلسفة وعلم الكلام والتصرف للأب جورج شحاته القنواتي سلسلة عالم المعرفة الكويتية رقم ٢٣٤

٥٠ – فاييه، جان موريس: الكنيسة السريانية الشرقية ترجمة كميل حشمه دار المشرق بيروت – ١٩٩٠

٥١– ميشيل/ ريتشارد: أيديولوجية جماعة المسلمين الجزء الثاني التنظيم والأيدلوجية ترجمة عبد السلام رضوان مكتبة مدبولي – القاهرة ١٩٧٨

« مجلات ونشرات ومحاضرات »

٥٢ – المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٥٦ مديرية الإحصاء، وزارة الاقتصاد الوطني – دمشق السنة التاسعة

٥٣– النشرة الأسبوعية لكنيسة بيروت الإنجيلية ج١٤ ١٨٨٤

٥٤– نشرة نفير سورية – بيروت بطرس البستاني عدد ٢ بيروت ٨ / ١٠ / ١٨٦٠

٥٥– المجلة البطريركية – دمشق د. أحمد شوكت الشطي العدد الثلاثون حزيران ١٩٦٥ السنة الثالثة

٥٦– مجلة روز اليوسف – القاهرة العدد ٣٣١٧ ٦ / ١ / ١٩٩٢

٥٧– مجلة روز اليوسف – القاهرة ٢ / ١١ / ١٩٩٨

٥٨– مجلة المشرق – بيروت الأب لأمنس اليسوعي ١٩٢٨

٥٩– مجلة الجنان – بيروت سليم البستاني آذار ١٨٧٠ السنة الأولى ج٥

٦٠– مجلة العلوم – بيروت د. عمر فروج أيار ١٩٦٠ السنة الخامسة العدد الخامس

٦١– مجلة الرابطة – جونية العدد ٢ السنة ١٩٨٢

٦٢– دليل كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك في العالم – بيروت الطبعة الأولى

٦٣– مجلة المستقبل العربي – بيروت العدد ٣ ٩ / ١٩٧٨ محمد عماره

٦٤– مجلة المستقبل العربي – بيروت العدد ٢٦ ٤ / ١٩٨١ جوزيف مغيزل

٦٥- مجلة المستقبل العربي - بيروت العدد ٢٦ ٤ / ١٩٨١ سمير كرم

٦٦- مجلة المستقبل العربي - بيروت العدد ٣٠ ٨ / ١٩٨١ فكتـــور سحاب

٦٧ - مجلة المستقبل العربي - بيروت العدد ٣٠ ٨ / ١٩٨١ أبو ســيف يوسف

٦٨- مجلة المستقبل العربي - بيروت العدد ١٠٢ ٨ / ١٩٨٧ علـــي السـيد علي محمود

٦٩- مجلة المستقبل العربي - بيروت العدد ١١٩ ١ / ١٩٨٩ د. أنطـــون مسره

٧٠- مجلة المستقبل العربي - بيروت العدد ١٢٦ ٨ / ١٩٨٩ فرحـــان الديك

٧١- مجلة المستقبل العربي - بيروت العدد ١٣٠ ١٢ / ١٩٨٩ طـــارق البشري

٧٢- مجلة المستقبل العربي - بيروت العدد ١٣٠ ١٢ / ١٩٨٩ محمود محمد الناكوع

٧٣ - محاضرة أدوار حشوه بعنوان: دمشق ... الروح والحلم ألقيت في كنيســة الصليب بدمشق ٥ / ١٢ / ١٩٩٧ وصدرت بكراس

٧٤- صحيفة النهار - بيروت ١٠ / ٣ / ١٩٩٨

٧٥- صحيفة النهار - بيروت ٢٠ / ٨ / ١٩٩٨

٧٦- صحيفة النهار - بيروت ١٥ / ١٠ / ٩٨

٧٧- صحيفة النهار - بيروت ٢٨ / ١٠ / ٩٨

٧٨- صحيفة النهار - بيروت ١٩ / ١٢ / ٩٨ محمد السماك

٧٩- صحيفة النهار - بيروت ٢٤ / ١٢ / ٩٨ القس عيسى دياب

٨٠ - ملحق صحيفة النهار - بيروت ١٨ / ٣ / ١٩٩٥

٨١ – ملحق صحيفة النهار – بيروت العـــدد ٣٠ ١٠ / ١ / ١٩٩٨ بعنـــوان: أوقفوا هجرة مسيحيي الشرق: رالف غضبـــــان، جـــيروم شـــاهين، أحمـــد بيضون، كمال صليبي

٨٢– صحيفة الحياة – لندن ٢٦ / ٨ / ١٩٩٢

٨٣ – صحيفة الحياة – لندن ٩ / ١٢ / ١٩٩٢

٨٤ – صحيفة الحياة – لندن ٢٥ / ٣ / ١٩٩٨ د. ميلاد حنا

٨٥– صحيفة الحياة – لندن ٢٦ / ٤ / ١٩٩٨

٨٦ – صحيفة السفير– بيروت ٢٨ / ٧ / ١٩٩٨

٨٧ – صحيفة السفير– بيروت ١٢ / ١٠ / ١٩٩٨

٨٨ – صحيفة الأهرام – القاهرة ١٧ / ٩ / ١٩٩٨ الأب رفيق جريش

٨٩ – صحيفة الرأي – عمان ٩ / ٧ / ١٩٩٧

٩٠– صحيفة الكفاح العربي بيروت ٢٦ / ٣ / ١٩٩٨

٩١– صحيفة حمص – حمص ٢ / ٩ / ١٩٩٨

٩٢– صحيفة بيروت تايمس – لوس أنجلوس عدد ١٢ – ١٩ نيســـــان ١٩٩٠ الأب جوزيف ترزي

باللغات الأجنبية

93- Azoury nagib: Le Reveil de la nation Arabe, librairie plon , paris 1905

94- Annuaire 1984, vicariat Apostolique latin. Alep – Syria

95- Mendore, Henry: Elements de Sociologie. Armand colin – Paris 1967

96- Elton, G. R.: The practice of history. N. Y. Crowell, Sydney Univ press, london 1968

97- Gordon , Helen Cameron (lady Russell): Syria as it is, methuen & co, london 1939

98- gerschenkron, A: continuity in History and other essays, Harvard Univ press 1968

99- Great Britain, F.O. correspondence relating to the affairs of Syria 377 / 1236 / no 47157 (6 nov 1911)

100- MECC Documentation center (Who are the christian of the middle east) MECC prepectives, october 1986

101- morris, ginsberg: Evolution and progress. Heinemann, london 1970

102- Salibi, Kamal: A house of many mansion : the History of lebanon Reconsidered. University of california press Berkely (Los angelos) london 1988

103- Trimingham, pohn Spencer: christianity among Arab in pre – islamic times, librairie du liban 1979



الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	*رقم الصفحة*





☼للمؤلف☼

في مجال التاريخ

١- صناعة تزييف التاريخ ـــ دار الكتاب العربي - القاهرة

٢- السريان قديماً وحديثاً ـــ المعهد الملكي للدراسات الدينية - عمان ١٩٩٧

٣- السوريون والحضارة السريانية ـــ دار الحصاد - دمشق ١٩٩٨

٤- حدث ذات مرة في سورية: دراسة للسياسة السورية العربية في عهدي الوحدة والانفصال ١٩٥٨ - ١٩٦٣ ـــ دار علاء الدين - دمشق ١٩٩٨

٥- المسيحيون السوريون خلال ألفي عام ـــ دار علاء الدين - دمشق ٢٠٠٠

تحت الطبع

٦- السريانية العربية: الجذور والامتداد:

ترجمة

٧- المدخل إلى التاريخ الاقتصادي ـــ د. هـ. كول ـــ دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٨١

٨- الصراع على سورية ـــ باتريك سيل

دراسة للسياسة العربية١٩٤٥ - ١٩٥٨

الطبعة الأولى: دار الأنوار - بيروت ١٩٦٨

الطبعة الثانية: دار الكلمة - بيروت ١٩٨٠

من الطبعة الثالثة إلى التاسعة ١٩٨٤ - ١٩٩٧

دار طلاس - دمشق

